الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلميّ

جامعة- سعيدة -"الدّكتور مولاي الطاهر"

كلّيّة اللّغات والآداب والفنون

قسم :اللّغة العربيّة و آدابها

مذكّرة لنيل شهادة ماستر الأدب العربيّ تخصّص لسانيّات عامّة

الموسومة بـ :

إعادة اكتشاف دو سوسير من خلال كتاب "دو سوسير من جديد - مدخل إلى اللِّسانيَّات - للدُّكتور زواوي مختار"

الـــطّالبـــتين:

- مروى وفاء طلحاوي
- فاطمـــة فاســـي

الدّكتور: طاهر جيلالي

أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ	بنيني عبد الكريم	رئيسا
الأستاذ	طاهر جيلالي	مشرفا ومقررا
الاستاذ	هواري بلقندوز	ممتحنا

الموسم الجامعي: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا (1) لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا (2) وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا (3) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا (4) لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا.

المحتويـــــــــــات

شكر و عرفان
إهداء
مقدّمة..... أ – ج
مدخـــل: في آفـــاق النّصوص الجديدة لفرديناند دو سوسيـــر..... 7-13
مسائل في لسانيّات فرديناند دو سوسير..... 7-13
الفصل الأوّل : فرديناند دو سوسير بين كتابي
محاضرات في اللّسانيّات العامّة و النّصوص الجديدة..... 14
المبحث الأول :كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة و النّصوص الجديدة..... 15
كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة..... 17
النّصوص الجديدة..... 19
المبحث الثّاني: الموقف الإبستيمولوجيّ لفرديناند دو سوسير..... 22
في الإبستيمولوجيّات و فلسفتي اللّغة و اللّسانيّات..... 22
حقل الإبستيمولوجيّات 22
حقل فلسفة اللّغة..... 22
حقل الإبستيمولوجيّات المبرّمجة..... 22
موقف فرديناند دو سوسير الإبستيمولوجيّ من اللّسانيّات..... 23
فلسفة فرديناند دو سوسير اللّغوية و فلسفته اللّسانيّة 25
في بيان مفهوم العلامة و موقعها من سيميائيّات دو سوسير..... 29
الفصل الثّاني: مفاهيـم و مصطلحـات فرديناند دو سوسيـــر..... 31
المبحث الأوّل :اللّغة واللّسان و الكلام..... 32
اللّغة 35
اللّسان..... 37
الكلام..... 40
النّسق..... 41
لسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام..... 45
المبحث الثاني:العلامـــة 49
في موقع العلامة من كتاب المحاضرات في اللّسانيات العامّة..... 50
في موقع العلامة من كتابات فرديناند دو سوسير الجديدة..... 57
اعتباطيّة العلامة اللّسانيّة..... 60
خطيّة الدّال..... 65
خاتمـــــــــــة..... 68
قائمة المصادر والمراجع..... 73
الملخّص..... 76

شكر وعرفان

لله الحمد كلّه و الشّكر كلّه أن وفّقنا و ألهمنا العبر لإنجاز هذا العمل المتواضع.

و الشّكر الموصول إلى الأستاذ الفاضل المشرف

" طاهر جيلالي " عرفانا لجهوده ومتابعاته وتوجيهاته لنا الّتي ساعدتنا على إعداد هذه المذكّرة.

كما لا يفوتنا أن نتقدّم بجزيل الشّكر و التّقدير إلى أساتذة قسم اللّغة العربيّة

وآدابها الّذين كانوا برفقتنا طوال مشوارنا الجامعيّ جزاهم الله خيرا.

إهداء

إلـهي لا يطيب الّليل إلاّ بشكرك ...ولا يطيب الّليل إلاّ بطاعتك
ولا تطيب الّلحظات إلاّ بذكرك
ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك ...ولا تطيب الجنّة إلاّ برؤيتك.
إلى منارةِ العلمِ الإمام المصطفى ...إلى الأميّ الّذي علّم المتعلّمين
إلى سيّدِ الخلقِ ...إلى رسولِنا الكريم " سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم" .
إلى من كلّله الله الـهيبة و الوقار ...إلى من علّمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكلّ افتخار
" والدي العزيز." رحمه الله.
إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحبّ و الحنان و التّفاني..
إلى بسمة الحياة و سرّ الوجود ...إلى من كان دعائها سرّ نجاحي و حنانـها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب " أمي الحبيبة"
إلى قرّة عيني و سندي في الحياة إلى " زوجي الغالي " حفظه الله
إلى من تقاسمتُ معها رحلة البحث أختي و صديقتي " مروى"
وإلى كلّ من نسيهم قلمي و لم ينساهم قلبي.

***** فاطمة**

***

إهداء

الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصّالحات

إلى حبيب الله سيّد الخلق أجمعين نبيّنا المبعوث رحمة للعالمين.

إلى العطاء الّذي ينبض ..... إلى نبع الحنان و الحياة إلى الّتي سقتني المحبّة

....إلى الشّمعة الّتي تنير حياتي إلى الّتي تشقى لتسعدني و تتعب لتريحني

إلى الّتي لا تعرف الملل و لا الضّجر إلى من كانت لي أمّا و معلّمة في

الأخلاق

و أخت النّصح و الإرشاد إلى " أمّي الحبيبة "أطال الله في عمرها"

إلى كلّ الأشخاص الّذين أحمل لهم المحبّة و التّقدير

إلى كلّ من نسيه القلم و حفظه القلب.

*****مروى وفاء *****

مقدّمة

مقدّمـــــــــــة:

أحدث ظهور اللّسانيـــّات في مطلع القرن العشرين تحوّلا فكريا ، و ثورة إبستيمولوجيّة في مسار البحث الحديث و المعاصـــر، و ذلك بعد ظهور كتـــاب فيرديناند دو سوسير"Ferdinand de Saussure" " محاضرات في اللّسانيّات العامّة" .

و قد أفلَت مائة عام ، منذ أن أخرج " شارل بالي Charl. Ball "و "ألبير سيشهاي Albert .Sechehay" هذا الكتاب سنة 1916م إلى السّاحة العلميّة، و في نيّتهم الثّناء على فكر أستاذهم اللّسانيّاتي الّذي أودعه في المحاضرات الّتي ألقاها خلال السّنوات الجامعيّة الثّلاث (1907-1908) (1908-1909) (1911-0-191)، و بأنّه حان جمعها و إخراجها ، حتّى لا يتسلّل إليها النّسيان ، ومع مستهلّ القرن الحادي و العشرين و بعد العثور علـــى نصوص و مخطوطات جديدة عام 1996م و تمّ تحقيقها و نشرها عام 2002 م، تمخّض عن هذا المشروع الجديد تيّار لسانيّ يدعو إلى التّحقق منه و الاجتهاد في تطويره ، من خلال الكفّ عن التّعلق بكتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة ، و الإقبال على النّصوص السّوسيريّة الجديدة ، تفسيرا و تأويلا.

ولعـــلّ أهمّ الأسبـــاب الّتي دفعتنا إلى اختيار موضـــوع مذكّرتنـــا الموســـوم بـــ: ***إعادة اكتشاف دو سوسير من خلال كتاب "دو سوسير من جديد – مدخل إلى اللّسانيّات للدّكتور زواوي مختار".** هـــي هذه المرحلة المفصليّة في تاريخ اللّسانيّات الّتي بات من الضّروري إعادة النّظر في كتاب دو سوسير "محاضرات في اللّسانيّات العامّة " و مدى وفاء كلّ من شارل بالي و ألبير سيشهاي في التّعبير عن الفكر الحقيقـــي لدو سوسير من جهة ، ومن جهة أخرى البحث عن وجه الجدّة و التميّز في النّصوص الجديدة و الّتي لا يمكن أن تكون المقاربة اللّسانيّة إلاّ بها.

فمسعانا إذا من خلال هذه الدّراسة هو الوقوف على هذه النّصوص و المخطوطات الجديدة الّتي تُعبّر عن فكر دو سوسير في اللّسانيّات العامّة ، من تحقيق " سيمون بوكي Simon.Bouquet"و "رودلف انغلر Rudolf.Engler" ، وذلك من أجل قراءة تأصيليّة انطلاقا من مجموعة من التّأويلات العلميّة و المنطقيّة بمختلف أبعادها النّظريّة و المنهجيّة المتباينة في إطار تحوّلات المفاهيم الاصطلاحيّة اللّسانيّة في الفكر السّوسّيري الجديد ، بحيث تستند مضامين هذا المسعى إلى أصول نظريّة معلومة ، و مواد علميّة محقّقة ، و هذا من أجل الوصول إلى إسهامات دو سوسير من خلال نصوصه الجديدة في الكشف عن الملامح الحقيقيّة للّسانيّات الّتي تختلف كلّ الاختلاف عمّا رُوّج عن فكر هذا اللّسانيّاتي من خلال كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إليه ، أو ما روّجتــه عنه ، طيلة مائة عـــــام مضت ، نظريّات و تصوّرات لسانياتيّة توالت استقطاب السّاحة الفكريّة ، الغربيّة و العربيّة، فهي نصوص لها خصائص شتّى لعلّ أهمّها ، المسافة الفكريّة الّتي تُقيمها إزاء كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة ، و القطيعة الّتي تُحدثها مع التّصوّرات اللّسانيّاتيّة و السّيميائيّاتيّة الّتي توارثتها عن هذا الكتاب أجيال متواترة من الباحثين.

فقد بات النّصّ الجديد منفتحا على التّأويل مستدعيا التّفسير ، تشيع فيه عبارات الفلسفة ، و السّيميائيّات ، و المنطق ، و الرّياضيّات ، و تتخلّله مصطلحات لسانيّة مبتكرة ، أصيلة ، بالنّظر إلى تطوّر فكر دو سوسير و جهاز مصطلحاته ، إذ بـــات من المعلـــوم أنّه قليلا ما كان يركن للمصطلح حتّى يعاوده بالتّمحيص و التّدقيق و إلاّ سارع إلى الاستغناء عنه بمصطلح أصيل يكفل له النّأي عمّا تداولـته لسانيّات عصره . فقد كان على دراية بعلوم عصره ، و منها على وجه الخصوص معرفته بعلم الرّياضيّات ، و الكيمياء ...حيث كان يستقي منهم مصطلحاته و يُضفي عليها مضمونا جديدا ينسجم مع تصوّراته و بالتّالي تصبح إحدى المسائل الحاسمة في فكر دو سوسير .

فهذه النّصوص الجديدة تُعدّ مرحلة مُهمّة من مراحل مشروع دو سوسير الرّامي إلى مراجعة الأصول العلميّة الّتي يجب أن تنبني عليها اللّسانيّات ، و من شأنها أن تُسدّد الكثير من التّصوّرات الفاسدة الّتي علقت بتلقّي فكر دو سوسير اللّسانيّاتي و السّيميائيّاتي نتيجة عدم توفيق شارل بالي و ألبير سيشهاي في التّعبير عن فكر أستاذهما تعبيرا سديدا. و هو ما دفعنا لطرح الإشكاليّة التّالية:

ما الجديد عند دو سوسير من خلال كتاب الدّكتور زواوي مختار ''دو سوسير من جديد '' - مدخل إلى اللّسانيّات - ؟

و لمناقشة هذه الإشكاليّة المطروحة و محاولة الوصول إلى نتائج تفسيريّة تزيد الأمر وضوحا، اعتمدنا خطّة اشتملت على مقدّمة فمدخل يليهما فصلين ثمّ خاتمة ، معتمدين منهجا وصفيّا تحليليّا كونه ملائما للبحث و سارت الخطّة كما يلي:

الفصل الأوّل : كان بعنوان **فيرديناند دو سوسير بين كتابي المحاضرات في اللّسانيّات العامّة و النّصوص الجديدة** ، حيث عرضنا فيه إلى عدّة نقاط نذكر منها: كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة ، النّصوص الجديدة ، في الإبستيمولوجيّات و فلسفتي اللّغة و اللّسانيّات ، موقف دو سوسير الإبستيمولوجيّ من اللّسانيّات ، فلسفة دوسوسير اللّغويـــّـة و فلسفته اللّسانيّاتيّة. في بيان مفهوم العلامة و موقعها من سيميائيّات دو سوسير .

أما **الفصل الثّاني :** جاء بعنوان **مفاهيم و مصطلحات فيرديناند دو سوسير** ، حاولنا من خلاله البحث في اللّغة و اللّسان و الكلام ثم النّسق ، ثم لسانيات اللّسان و لسانيات الكلام وبعد ذلك تطرّقنا إلى مفهوم العلامة ومفهوم الاعتباطيّة ثم خطيّة الدّال .

و استعنّا ببعض المصادر و المراجع الّتي كانت سندا لنا في توضيح الرّؤية في بحثنا هذا نذكر منها:

- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللّسانيّات ، ابن النّديم للنّشر و التّوزيع ، دار الرّوافد الثّقافيّة – ناشرون ، بيروت- لبنان ، ط،2017م .
- مصطفى غلفان، اللّغة و اللّسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتّحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017 م.
- فردينان دي سوسير ، تعّريب صالح القرمادي محمد الشاوش – محمد عجينة ، دروس في الألسّنيّة العامّة ، الدّار العربيّة للكتاب ، ط1 ،1985 م.
- ميشال أرفيه (Michel Arrivé) ، البحث عن فردينان دو سوسير ، تر:محمد خير محمود البقاعي ، مراجعة : نادر سراج .ط 1، 2009 م .
- زواوي مختار ، من المورفولوجيّات إلى السّيميائيّات مدخل إلى فهم فكر فرديناند دو سوسير ، الأردن عالم الكتب الحديث للنّشر و التّوزيع ، 2019 م.
- لويك دوبيكير (Loic Depecker)، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكريّة في تطوّر اللّسانيّات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربيّة 2009 م ،ط1 .
- فيرديناند دو سوسير ، في جوهري اللّغة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: زواوي مختار، ابن النّديم للنّشر و التّوزيع ، دار الرّوافد الثّقافيّة – ناشرون ، ط1 2019م .
- فيرديناند دو سوسير ، نصوص في اللّسانيّات العامّة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: زواوي مختار ، ابن النّديم للنّشر و التّوزيع ، دار الرّوافد الثّقافيّة – ناشرون ، ط1 2021م .
- جورج مونان ، ترجمة د.جمال الحضري ، معجم اللّسانيّات ، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات و النّشر و التّوزيع ، ط1 1433ه-2012 م .

ثمّ أنهينا بحثنا بخاتمة احتوت أهمّ النّتائج الّتي توصّلنا إليها ، و للأمانة العلميّة فقد استعنا بمؤلّفات لجهود عربيّة تَمثّلت المَعرفة الجديدة حول سوسير و لعلّ أهمّها فيما أنجزه الدّكتور زواوي مختار من خلال كتابه " دو سوسير من جديد ، مدخل إلى اللّسانيّات . و كتاب " مصطفى غلفان " اللّغة و اللّسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول" ، حيث يتّسم هذان الكتابان بالعُمق المعرفي و الإحاطة بأفكار سوسير ؛ إذ اطّلع المؤلّفان على تلك الأفكار في لغتها الأمّ دون واسطة ، و استطاعا أن يصوغا رؤيتهما الخاصّة حولها ، من خلال حُسن العرض ووضوح الفكرة و سلاسة اللّغة. مما ساعدنا ذلك كثيرا في موضوعنا ، و بطبيعة الحال كغيرنا من الباحثين واجهتنا صعوبات عديدة تمثّلت في عدم حصولنا على مصادرأخرى لا تقلّ أهميّة عن سابقتها ، كما أنّنا لم نتمكّن من البحث الدّقيق عن آراء العلماء في كلّ كتاب و المقارنة بينهم ، أيضا صعوبة ترجمة بعض المصطلحات.

و لا يسعنا في هذا المقام إلاّ أن نتوجّه بأسمى معاني الشّكر والامتنان و التّقدير للمشرف طاهر جيلالي على رعايته لهذا البحث ، وللجنة المناقشة الّتي ستتولّى قراءتـــــه و تقييمه و إبداء الملاحظات عليه.

و في الختام نحمد الله عزّ و جلّ ونشكره على توفيقه لنا في إنجاز هذا البحث المتواضع .

مدخـــــــــــل

فـي آفـــاق النُّصوص الجديدة

لفيرديناند دو سوسيـــر.

❖ مسائل في لسانيّات دو سوسير

إنّ البحوث التّطبيقية الّتي اتّخذت لسانيّات دو سوسير الجديدة منطلقا لها بحوث قليلة معدودات ، مقارنة بالبحوث الّتي اتّخذت كتاب"محاضرات في اللّسانيّات العامّة" المنسوب إلى سوسير منهلا لها . ولعلّ السّبب الرّئيس لهذه القلّة يكمن في قلّة احتفاء الباحثين بلسانيّات دو سوسير الجديدة مقارنة باحتفائهم بكتاب المحاضرات ، إذ ما يزال هذا الكتاب ، في عدد من دوائر الفكرالغربيّ و مجالاته ، المنفذ الرئيس للّسانيّات السّوسيرية على الرّغم مما انتهت إليه الفيلولوجيّات السّوسيرية . [1]

هذا ما يوحي بنا إلى أنّ كتاب "محاضرات في اللّسانيّات العامّة " الذي نشره كل من شارل بالي و ألبير سيشهاى و نسباه إلى دوسوسير ، و قدّماه على أنّه يعكس الصّورة الحقيقيّة لفكره ، شاع بين الباحثين و الطلبة فصرفهم عمّا كانت الفيلولوجيّات السّوسيرية تجتهد منذ نهاية خمسينات القرن الماضي ، و تدعوا إلى إعادة النّظر فيما استُجدّ من مخطوطات تمّ العثور عليها عام 1996م تعود للمفكّر اللّسانيّاتي دوسوسير ، و ذلك بعد تحقيقها و نشرها عام 2002 م.

إنّ هذا الاكتشاف تمخّض عنه تيّار لساني جديد ، يدعو إلى التحقّق من مشـــــروع دو سوسير و الإقبـــال عليه من خلال التفسيـــــر و التّأويـــل، و الكفّ عن التعلّق "بكتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة" .

فهذه النّصوص تكشف عن حقائق أفنى سوسير حياته في التّأسيس لها ، بحيث لم تعد اللّسانيّات لا تُعنى إلاّ باللّسان ، سواء آنيا ، أو تاريخيا ، أو جغرافيا ، و لا تتّخذ من الكلام موضوعا لها ، كما رَوّج لها كتاب " محاضرات في اللّسانيّات العامّة " ، بل على العكس تماما ، فقد بات مشروع دو سوسير لسانيّات موحِّدة للسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام. [2]

1- زواوي مختار ، مسائل في تلقي النظرية السوسيرية ، دار ومضة للنشر و التوزيع و ، ط1،2021،ص 05.

2- نفس المرجع السابق ، ص 06.

لقد توزّع أقطاب اللّسانيّات السّوسيرية الجديدة بين رؤيتين منهجيتين متقابلتين في التّعامل مع لسانيات سوسير ، و يرى أتباع اللّسانيّات السّوسيرية الجديدة و في مقدّمتهم "رونيه أماكر Renè Amacker" في مؤلَّفه "اللّسانيّات السّوسيرية " أنّ تصوّرات سوسير و تأمّلاته في اللّغة تُجسّد نسقا نظرّيا مغلقا ؛ إذ ينتظم حوله باقي مفاهيم البناء النّظري عنده ، في النّصوص الأصليّة المتعلّقة بـ "محاضرات في اللّسانيّات العامّة " التي نشرها كل من شارل بالي و ألبير سيشهاي سنة 1916م نيابة عنه. [1]

و أمّا أصحاب الرّؤية السّوسيرية الجديدة فيذهبون إلى القول بأنّ تصوّرات سوسير تُمثّل نسقا مفتوحا تُقيم عناصره الدّاخليّة علاقة جدليّة فيما بينها ؛ حيث تُضفي عليه العديد من القراءات و التّأويلات المتعدّدة وفق وجهات نظر مختلفة و من أبرز المدافعين عن هذه الرّؤية "فوندرلي بتر Petr Wunderli " و " فرانسوا راستيه F.Rastier " و "سيمون بوكيه Simon Bouquet " .

تُعدّ أبحاث هؤلاء الباحثين وغيرهم الّذين أخرجوا مخطوطات سوسير إلى النّشر كما فعل " إيسوكه كوماتسو Eisuke Komatsu " في محاضـــــــرات العام الأوّل "1907" و محاضرات العام الثّاني" 1908 – 1909" و محاضرات العام الثّالث " 1910 – 1911 " وزملائه من أبرز الطّلبة الّذين استمعوا إلى محاضرات سوسير بجامعة جنيف ؛ و هم : " ألبير ريد لنغر Albert.Riedlinger" و " إميل قسطنطين Emile.Constantin" و " شارل باتو Charles.Batois" و اعتبروا هذه المخطوطات من أفضل ما نُقل عن مخطوطات اللّسانيّات السّوسيرية الجديدة. [2]

1- صلاح الدين يحي ، مخطوطات فرديناند دو سوسير و أثرها في تأسيس اللّسانيّات السُّوسَيرية الجديدة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر،2019،ص 303.

2- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

قدّم " روبار غودال R.Godel" سنة 1957 قراءة بعنوان " المصادر المخطوطة لمحاضرات في اللّسانيّات العامّة " كأوّل عمل رائد في القراءات ما وراء نظريّات اللّسانيّات العامـّـــة و كانت أوّل خطوة اتّبعها في مقابلة نصّ محاضرات في اللّسانيّات العامّة طبعته بمصادر الأصول . [1]

كما قدّم "رودلف انغلر Rudolf.Engler " دراسته النّقديّة لكتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة سنة (1968 – 1974) م . [2]

ممّا سبق نلاحظ أن ما تمّ اكتشافه من نصوصّ جديدة فتح الأبواب أمام عديد من الباحثين من أجل تقديم قراءات ؛ من اللّسانيّات السّوسيرية الجديدة بهدف إزالة ما حصل من اختزالات مفرطة لتصوّرات دو سوسير و ما ترتّب عنها من سوء فهم و التباس سواء في تقدير قيمتها النّظريّة و المنهجية ، أو فيما تعلّق بطريقة التّعامل معها .

لقد عرف كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة لدوسوسير انتشارا كبيرا منذ سنة 1916 م بعد وفاة سوسير بثلاث سنوات 1913م فقط في معظم أنحاء العالم ، و كانت أوّل ترجمة عربيّة على يدّ عبد الواحد وافي سنة 1941 م. [3]

يبدوا إذن الكتاب الّذي نُشر بعد وفاة صاحبه يتّصف في بعض الأحيان بأنّه يعرض تفكير سوسير عرضا مبسطا كما تدلّ على ذلك تعاليق ناشري تلك الدّروس . أمّا أعمال سوسير الّتي ظهرت مؤخرا و كتابه المعنون : " كتابات في اللّسانيّات العامّة " 2002 م ، على وجه الخصوص عناصر جديدة تُزكّي اهتمام اللّسانيّين بفكر سوسير . [4]

1- صلاح الدين يحي ، مخطوطات فرديناند دو سوسير و أثرها في تأسيس اللّسانيّات السُّوسّيرية الجديدة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر،2019،ص 304.

2- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللّسانيّات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 45 .

3- مختار زواوي ، من المورفولوجيات إلى السيميائيات مدخل إلى فهم فكر فرديناند دو سوسير ، الأردن عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، 2019 م ص3.

4- ميشال أرفيه ، البحث عن فردينان دو سوسير ، تر:محمد خير ممود البقاعي ، مراجعة : نادر سراج ، بيروت ، لبنان :دار الكتاب الجديدالمتحدة ط1 2009 م ، ص9.

لقد جمع اللّسانيّون ما تركه دو سوسيرمن مصادر و أصول مخطوطة في اللّسانيّات العامّة ، تضمّنت أفكارا و طروحات جديدة لها ظهرت سنة 1957 م عُرفت باسم " مخطوطات سوسير " ، لاقت هي أيضا رواجا علميّا ملفتا للانتباه قام بعض اللّسانيّين بقراءات و تأويلات حولها أدت إلى تطوّر تصوّرات اللّسانيّات العامّة عامّة و تطوّر تصوّرات دو سوسير خاصّة .

نستخلص من رأي الباحثين أنّ الأفكار الّتي يقدّمها كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة تتعارض أحيانا مع الأفكار الّتي نجدها في المخطوطات الّتي كتبها دو سوسير بنفسه .

فسوسير الحقيقي لا يوجد فيما دوّنه طلابه من أقوال بقدر ما يوجد في ما كتبه هو نفسه بخطّ يده . و الواقع أنّ مرور الزّمن قد كشف عن عدد كبير من المخطوطـات و المدوّنات و الملاحظات الّتي وضعها سوسير من أجل محاضراته أو من أجل تحضير مقال أو كتاب.[1]

لطالما اعتقد الباحثون أنّ ما هو مهمّ في فكر دو سوسير يتلخّص فيما جاء في نصّ المحاضرات في اللّسانيّات العامّة ، لكنّ الواقع يُشير إلى أنّ فيرديناند دو سوسير هو مؤلِّف كتاب لم يكن في الحقيقة قد خطّ سطرا واحدا ممّا جا فيه ، و إنّما ألّفه "شارل بالي" و "ألبير سيشهاي " اللّذين شكلا نصّ الكتاب و لم يكونا في الأصل من المستمعين المباشرين ، لأنّ كلاهما لم يحضر تلك المحاضرات ، تحديدا محاضرات اللّسانيّات العامّة ، بينما كان "ألبيرت رايدلنغلر" بوصفه المحرّر الثّالث وصاحب التصوّر الّذي خُطّ وفقه الكتاب ، الوحيد الّذي حضر محاضرات فصل خريف (1907) ، و محاضرات سنتي (1908 – 1909) و لكنّه لم يحضر المجموعة الثّالثة من المحاضرات المهمّة بين سنتي (1910 -1911) و الّتي سيكون الجزء الأكبر منها نصوصّ كتاب المحاضرات.[2]

1- لويك دوبيكير ، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربية 2009 ،ط1 ص 9.

2- فهيم شيباني عبد القادر ، أسرار التأليف هكذا سمعنا المعلّم في كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة ، مجلّة أيقونات ، العدد 06 المجلّ السادس-الجزائر ،2018،ص 13 .

إنّ أولى اشكالات تأويل مقاصد "دو سوسير" ، تبدأ من صياغة الفهرسة و هو ما يُعري تلك التّخمينات . فبعد مقدّمة عامّة ، ينتقل الكتاب إلى المبادئ العامّة المتمرّكزة حول العلامة. لينقلنا الفهرس فيما بعد إلى فصول طويلة حول اللّسانيّات التزامنية و اللّسانيّات التعاقبية ، ثمّ نحو اللّسانيّات الجغرافية ، لينتهي الكتاب بمساءلة حول اللّسانيّات التطوّرية .

في ضوء الفهرسة يبدو بوضوح تردّد النّاشرين بين اتّباع التّرتيب الكرونولوجي للمحاضرات و التّرتيب المنطقي للموضوعات ، حيث نعثر في هذا النّصّ تحت موضوع واحد مقاطع من محاضرات بتواريخ متفاوتة . و هنا نلمس تحدّيات كُبرى و مُجازفة ، لأنّ إعادة بناء الفكر السّوسّيري يتوقّف على تحديد طريقة في ترتيب العناصر الّتي يمكن من خلالها افتتاح قضايا المحاضرات.[1]

لقد أثبتت طبعة "رودولف إنجلر" (1968م) ، و الّتي دأبت على تعميق العمل الذي قدّمه "روبرت غوديل"(1957م) ، حيث قام هذا الأخير بوصفه يُعدّ من أوائل المطّلعين على مخطوطات دو سوسير بتوضيح حالات كثيرة من الاختلافات بين تلك المخطوطات و كتاب المحاضرات ، و الّتي يمكن إجمالها في الملاحظات الآتية :[1]

1. تغيير النّاشرين للخاتمة.
2. جميع الأمثلة تمّ إضافتها من قبل النّاشرين.
3. جميع التّعليقات هي من إضافات النّاشرين.
4. إضافة بعض المفاهيم المفتاحية بداعي التّوضيح أو الشّرح ، على غرار مفهوم "القوانين الاجتماعيّة" الّذي لا أثر له في المخطوطات .
5. إضافة قواعد مفهوميّة اعتُبرت أساسيّة ، على غرار العبارة الأخيرة الّتي مُؤدّاها : أنّ الموضوع الطّبيعي و الفعلي للّسانيّات هو دراسة اللّسان بذاته و لذاته.

1- فهيم شيباني عبد القادر ، أسرار التأليف هكذا سمعنا المعلّم في كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة ، مجلّة أيقونات ، العدد 06 المجلّد السادس-الجزائر ،2018، ص 14 .

2- نفس المرجع السابق ، ص 15 .

كما أثبتت البحوث تلك الاستبدالات الاصطلاحية لما جاء في ملاحظات الطّلاّب بشكل متوال و مخلّ و الّتي يمكن تلخيصها في الجدول الآتي : [1]

مصطلحات الطّلاّب	إبدالات النّاشرين
Substance phonique	Substance acoustique
Chaine phonique	Sonorité linguistique
Tranche phonique	Suite acoustique
Elément phonique/phoneme	Unités irréductibles
Figure acoustique	Signe materiel

نتبيـــّـــن من هذه التفاصيل أن النّصّ أضحى عبارة عن سلسلة من الإضافـــات ، و التّغييرات و التّحويلات و الإبدالات و الانزلاقات ، الّتي شكّلت في النّهاية نصّ كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة ، بحيّل متناهية الخطورة تتنافى مع مبادئ الأمانة.

فعلى سبيل المثال تطرح مخطوطات سوسير موقفه من البُعد الاجتماعي للّغة ؛ إذ شاع أنّه يرى أنّ اللّسانيّات تدرس اللّغة في ذاتها و من أجل ذاتها بعيدا عن أية مؤثّرات خارجية ، إذ يُثبت نصّ "شارل بالي" و "ألبير سيشهاي" أنّ "سوسير" يتصوّر اللّسانيّات بوصفها علم اللّسان منظورا إليه في ذاته و لذاته .

يُشير "فرانسوا راستييه" إلى أنّ هذه الجملة ليست من كلام سوسير بل هي صيغة تعود إلى "فرانز بوب" (1816 م)، أي قبل "سوسير" بقرن من الزّمان. [2]

1- فهيم شيباني عبد القادر ، أسرار التأليف هكذا سمعنا المعلّم في كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة ، مجلّة أيقونات ، العدد 06 المجلّد السادس-الجزائر ،2018،ص 14 .

2- محروس السيد بريك ، التلقي العربي لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة ، مجلّة اللساني ، العدد 01 المجلّد 1-جامعة قطر،وكلية العلوم ، جامعة القاهرة ،2021 ،ص 96.

إنّ تلك الجملة جعلت من سوسير بنيويا صارما ، لا يعبأ بأي مجالات خارج البنية اللّغويّة ، في حين أنّ مخطوطات سوسير تؤكّد اهتمامه بالبُعد الاجتماعي للّغة ؛ حيث ينصّ على أنّه لا وجود للّسان خارج المجتمع ، و أنّ واقع اللّسان واقع اجتماعي قبل أي شيئ آخر. وينصّ كذلك على أنّ اللّسان هو واقعة اجتماعية ...فالإنسان لا يكون كاملا إلاّ بما يستعيره من وسطه " . و بعبارة أخرى لسوسير " اللّسان واقع اجتماعي ، إنّ الفرد المعدّ لأنّ يتكلّم ، لن يتمكّن من استعمال جهازه إلاّ من خلال المجتمع المحيط به ، هذا بالإضافة إلى كونه لا يشعر بأيّ حاجة لاستعماله إلاّ في علاقاته معه . إنّه مرتبط كامل الارتباط بهذا المجتمع "[1]

يُثبت كلّ من "شارل بالي" و " ألبير سيشهاي " حديث " دو سوسير" عن الجانب الاجتماعي للّسان في كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة ؛ ومن ذلك قوله :"اللّسان له جانب فردي و جانب اجتماعي ، ولا يمكن أن نتصوّر أحدهما بدون الآخر " . و يشيران إلى أنّ دو سوسير يرى أنّ المظهر الاجتماعي قائم في أذهان أصحاب اللّغة ؛ إذ اللّغة ليست كاملة في الفرد ، بل تكتمل في أذهان جميع الأفراد النّاطقين بهذه اللّغة . فالجانب الاجتماعي عند سوسير وفقا لهذا العرض – هو الصوّر الذّهنيّة للكلمات المخزونة في جميع عقول المتكلّمين بهذه اللّغة.

نتبيّن مما سبق ذكره بأنّ تلك الجملة (الهدف الوحيد للألسنية هو علم اللّسان منظورا إليه في ذاته ولذاته) ، قد استُخدمت لتدعيم الزّعم بأنّ سوسير لم يكن معنيا إلا بالنّظام الشّكلي المجرّد للّسان ، و ليس بدراسة اللّسان في السّياقات الاجتماعيّة الواقعيّة.

ووفقا لهذا التّفسير فإنّه لا يمكن فهم القواعد الكامنة للّغة إلا بإقصاء التّاريـخ و المجتمع و الثّقافة و السّياسة و النّاس و الاستعمال. و قد أدّى ذلك إلى انحراف الدّرس اللّساني عن وجهته الحقيقية ردحا من الزّمن و ذلك بدراسة اللّغة منعزلة عن المؤثّرات الخارجيّة.[2]

1- محروس السيد بريك ، التلقي العربي لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة ، مجلّة اللساني ، العدد 01 المجلّد 1-جامعة قطر،وكلية العلوم ، جامعة القاهرة ،2021 ،ص 97.

2- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

الفصل الأوّل

فرديناند دو سوسير بين كتابي

محاضرات في اللّسانيّات العامّة و النّصوص الجديدة

المبحث الأوّل: كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة و النّصوص الجديدة.

المبحث الثّاني : الموقف الإبستيمولوجيّ لفرديناند دو سوسير.

المبحث الأول: كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة و النّصوص الجديدة.

توطئة :

إنّ فردينان دوسوسير (1857م– 1913م) هو بالتّأكيد أكثر اللّغويّين شُهرة في العالم كلّه، و السّبب في ذلك بسيط : لقد أسهم إسهاما حاسما في تطوّر اللّسانيات و عدد آخر من العلوم الإنسانيّة. حيث و بالرّغم من أنّ اللّسانيّات كانت موجودة قبلـه بزمن طويـــل في عدد مـن الثّقافات ، لكن سوسيروجهها إلى مسالك لم يسبق لها أن سلكتها ، أو أنّها كانت ستتأخر في سلوكها ،و ربّما كان ذلك سيحدث بطريقة مختلفة لولا الأثر الّذي أحدثه نشر كتاب "محاضرات في اللّسانيّات العامّة .[1]

و بالرّغم من أنّ البحث عن سوسير ما يزال إلى يومنا هذا موضوع نقاش و جدل بين مؤيّدين ومعارضين للممارسة اللّغويّة و المنهجية المتّبعة في فكره ، فما يزال فكر سوسير و قيمة نظريّته ضمن اهتمامات لسانيّات القرن العشرين منذ أن ظهر مؤلّفه الشّهير "محاضرات في اللّسانيّات العامّة" و نصوصه الأخرى الّتي تمثّلت في الأبحاث و المخطوطات الخاصّة الّتي تُعدّ محور بحث و جدل و تنقيب العديد من الدّراسات الأكاديميّة.

إنّ تفكير سوسير ليس نصّا مغلقا . إنه يتتابع بمثابرة ، و يكتسي ثوبا من القلق نتلمسه غالبا ، و يُجاهر به في بعض الأحيان ، خلال حياة كانت ، مع أنّها قصيرة نسبيا في مدّتها الإجماليّة ، فهي تنسج في هذه الأثناء مجالا لفترات طويلة من التّأمّل. [2]

1- ميشال أرفيه ، البحث عن فرديناند دي سوسير ، تر، د. محمد خير محمود البقاعي ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2009 ،ط1 ص 07.

2- نفس المرجع السابق ، الصفحة 26.

فلطالما اعتقدنا أنّ الجزء الأساسي من فكر دو سوسير مدوّن في محاضرات في اللّسانيّات العامّة ... و لكن إذا نظرنا عن كثب إلى الأمور ، لوجدنا أنّ هناك العديد من التساؤلات الّتي تطرح نفسها . إذ نجد في " المحاضرات " عددا من الاستطرادات و الانتقالات المتقطّعة و الاضطرابات في التفكير : و هي انطباعات سببها مجموع التّعديلات الّتي أجريت في مختلف مراحل الكتابة ، بدءا بالتّردّد حيال ما إذا كانت "المحاضرات هي بالفعل كما ألقاها دو سوسير و حتى الكتابة النّهائيّة للمحتوى لم يكن أيّ من الكاتبين الأساسيين موجودا لدى إلقائه. [1]

الوثائق الّتي تّشكل مصدر محاضرات في اللّسانيّات العامّة هي بالتّأكيد مزيج من عناصر شتّى ، فهناك من جهة بعض المدوّنات الّتي وُجدت في ذلك الوقت بين أوراق دو سوسير من دون أن يكون لها أي صلة بالمحاضرات . و هناك من ناحية أخرى ، الملاحظات التي دوّنها الطّلاّب خلال المحاضرات و الّتي نُقلت بشكل ممتاز . و لكن ذلك لم يحل دون أن تتضاعف " تردّدات المحاضرة الشّفهية " نتيجة للتّأويلات و الاختزالات الّتي تنطوي عليها كلّ عمليّة تدوين للملاحظات. [2]

إذن بالرّغم من المكانة الّتي يحظى بها كتاب " محاضرات في اللّسانيّات العامّة " المنسوب إلى سوسير ، إلاّ أنّ المشروع السّوسّيري بحاجة إلى إعادة قراءة ، سيّما في ضوء ما تمّ اكتشافه سنة 1996م من مخطوطات (بخطّ يد سوسر) ، و الّتي أصبحت مُتاحة إثر نشرها سنة 2002 م تحت عنوان "كتابات في اللّسانيّات العامّة".

1- لويك دوبيكير ، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربية 2009 ،ط1 ص 26.

2- نفس المرجع السابق ، ص 27.

1- كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة:

أضحى كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوب إلى دو سوسير منذ انعقاد المؤتمر العالمي الأوّل للغويّين بلاهاي سنة 1928م الكتاب المهمّ لكلّ من له رغبة في مُدارسة اللّغة و الألسن ، فنشأت عنه النّظريّات ، و قامت من حوله المدارس ، و سار في النّاس كالعلم يُهتدى بـــه ، وظلّت الفونولوجيـــــات ، و التّركيبات ، و الدّلاليات ، و التّداوليات ، و السّيميائيّات، و نظريّات التّلفّظ ، و علوم النّصّ، على تنوّع مناهجها ، و اختلاف مواقفها منه، لا تنفكّ تُثير قضياه من جديد و تُعيد اجترار مفاهيمه ، لكنّها ما عبئت يوما بأنّ كتاب المحاضرات هذا ما كان يوما من تلقين دو سوسير و لا من خطّ يده ، و أنّ الجملة الّتي اختتم بها واضعاه ، "شارل بالي" و" ألبير سيشهاي" ، "إنّ اللّسان هو الموضوع الحقيقي و الوحيد للّسانيّات ، في ذاته و لذاته" ليست لدوسوسير ، و لا تُعبّر بأيّ حال من الأحوال عن مشروعه اللّسانيّاتي .[1]

كما صرّح الدّكتور زواوي مختار في كتابه "دو سوسير من جديد" الّذي نحن بصدد مدارسته ، بأنّ الدّراسات الحديثة أبانت عن فشل "شارل بالي "و" ألبير سيشهاي" في بيان فكر دو سوسير ، لأنّهما ما حضرا يوما درسا من دروس هذه المحاضرات ، و ما كانت كراسات الطّلبة الّتي استعانا بها كفيلة بأن تعوّض عنهم هذا النّقص ،[2] كما أن دو سوسير كان يُمزّق تباعا كلّ المسودّات الّتي كان يُحضّر بها دروسه على طول السّنة الجامعيّة ، لذلك لم يكن بيد النّاشرين آنذاك حيلة سوى اللّجوء إلى ما نقله طلبته و تناقلوه عنه حيث لجآ إلى كراسات سبعة طلبة ، أمّا محاضرات السّنتين الجامعيّتين (1907-1906) و(1909-1908) فقد استقياها من كراسات (لويس كاي ، و ليبولد غوتي ، و بول روغار ، و رايدلنغر) ، أمّا محاضرات السّنة الجامعيّة (1910- 1911) وهي تمثّل في نظرهما أهمّ المصادر الّتي يمكن الولوج منها إلى فكر دو سوسير باعتبارها المرحلة الأكثر نضجا و اكتمالا،

1- زواوي مختار ، من المورفولوجيات إلى السيميائيات ، مدخل لفكر فرديناند دو سوسيرص30.

2- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 21.

غيرأنّ هذه المصادر الّتي اعتمدها النّاشران هي كراسات يعتريها جانب من النّقص و الاختلاف الّذي يؤدّي إلى عدم التّمييز بين فكر دوسوسر الأصيل و بين ما فهمه منه طلبته.[1]

ممّا سبق ذكره و حسب رأي الباحثين ، تبيّن لنا أنّه وبعد مضيّ مائة عام على إصدار كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة وبالرّغم من الأهميّة الكبرى الّتي حظي بها ،خاصّة أنّه استطاع أن يُبقي إسم سوسير حيا – إذ بدون هذا الكتاب لظلّ إسم سوسير مجهولا اللّهمّ إلاّ لدى المتخصّصين في علم اللّغة التّاريخي و المقارن و عند مؤرّخي الأفكار اللّغويّة. كما أنّ كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة فيه شيء من المسائل الّتي يمكن بجهد من التّمحيص و التّدقيق ردّها إلى دو سوسير ، لكنّه لا يمكن أن يرقى إلى ما تنطوي عليه المخطوطات الجديدة.[2]

و رغم ذلك كلّه ، فإنّه و بعد مضيّ قرن من الزّمان ، فإنّ كتاب "محاضرات في اللّسانيّات العامّة "يكون بلا شك قد استنفذ "مهمّته التّاريخيّة" لأسبا ب متماثلة هي :

- ✓ إنّه عمل منحول و كتاب أُلِّف بعد وفاة صاحبه ، و تمّ تحريره من طرف زملاء سوسيرالّذين لم يحضرا قطّ دروسه.
- ✓ التّلاعبات التّحريرية الّتي أفضت إلى تشويه الفكر السّوسيريّ و إعاقة فهمه.
- ✓ نستحضركذلك هنا رأي "بيير فراث Pierre frath " حين يقول : أتعجب من أنّ كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة حجب النّصوص الأصليّة لسوسير ، سواء تلك التي نُشرت خلال حياته أو بعد وفاته ، و الغريب أن سُمعة سوسير بُنيت على أساس كتاب ليس من تأليفه ..."[3]

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل ال اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 23.

2- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 136.

3- مجلة الاداب و العلوم الانسانية المجلد 17 / العدد :1 (2023)، ص 37 .

2- النّصوص الجديدة:

لقد شاء القدر أن يُعثر ، سنة 1996م ، في أثناء عمليّة ترميم مستودع الأشجار المثمرة التّابع لإقامة آل دو سوسير الّتي أضحت اليوم معلما من المعالم الثّقافية لمدينة جنيف ، على مجموعة من المخطوطات الّتي تَبيَّن بعد فحصها و التّدقيق فيها أنّها تحتوي على نصوص من خطّ دو سوسير تختلف عن تلك الّتي اعتُمدت في التّأليف لكتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة ، و تشتمل على مسائل فريدة ليس للبحث اللّسانيّاتي الحديث عهد بها.

والعثور على هذا المخطوط أضحى السّمة البارزة في تاريخ اللّسانيّات المعاصر ، لما يكتنزه هذا المخطوط من معارف لسانية جديدة ، و بما يستكشفه من معالم أصيلة من فكر دو سوسير اللّسانيّاتي و السّيميائيّاتي . لكنّ المخطوط لم يُنشر ، بعد تحقيقه من قبل "سيمون بوكي "و "رودلف انغلر" ، إلاّ في مطلع هذا القرن الواحد و العشرين (و تحديدا سنة 2002م).[1]

تمّ نشر المخطوط ضمن مخطوطات أخرى لدو سوسير ضمن السّلسلة الفلسفيّة لدار غليمار الفرنسيّة ، بين دفّتي كتـــاب يحمـــل عنـــــوان "كتابات في اللّسانيـــّات العامّـة"، "Ecrits de linguistique générale " ، إلى جانب نصوص قديمة في اللّسانيّات العامّة ، كان "رودلف انغلر" قد حقّقها و نشرها مرفقة بطبعته النّقديّة الّتي أخرجها عن كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة سنة 1974م.

ولعـــلّ الخصّيصة الأبرز لهذه المخطوطات أنّها تُعيد الصّلة من جديد بفكر دو سوسير الأصيل بعد أن انقطعت السبل بالباحثين المحدثين عنه ، نتيجة تعلّقهـــم بكتاب "المحاضرات في اللّسانيّات العامّة".[2]

1- زواوي مختار ، من المورفولوجيات إلى السيميائيات، مدخل لفكر فرديناند دو سوسير ص1.

2- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

ما يُلفت انتباهنا كدارسين أنّ الدّكتور زواوي مختار يدعوا إلى ضرورة وضع كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة جانبا و الإقبال على نصوص دو سوسير الأصليّة ، و هي دعوة إلى إعادة قراءة فكر دو سوسير و معاودة التفكير في اللّسانيّات وفق ما استجدّ في أدبيّاتها ، على إثر العثور على مخطوط لدوسوسير في اللّسانيّات العامّة عـــــــام 1996 م و نشره سنة 2002 م ضمن مجموعة من النّصوص السّوسيريّة الأصليّة ، بعد تحقيقها من قبل "رودلف انغلر" و " سيمون بوكي" . و هي دعوة يلتقي بها مع عديد من الباحثين اللّسانيّين ، الّذين يسعون جاهدين منذ ذلك الحين ، في محو الصّورة النّمطيّة الّتي طالما رسخت في أذهان أجيال من الباحثين .

قبل التّطرّق لبعض القضايا الّتي لفتت انتباهنا ، و تلائمت محاورها مع موضوع بحثنا من خلال الطّرح الّذي أثاره الدّكتور "زواوي مختار" في "كتابه دو سوسير من جديد -- مدخل إلى اللّسانيّات" سننوه إلى أنّه بات معلوما أنّ ما أنتجه دو سوسير لا يمكن أن يختزل في جملة من الفروق من قبيل التّمييز بين اللّغة ، و اللّسان و الكلام ، و بين الدّراسة الآنيّـة و الدّراسة التّاريخيّة ، و بين لسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام ، و بين الدّال و المدّلـــول ، و بين العلاقات التّرابطيّة و العلاقات الاستبداليّة ، و غيرها من الفروق الّتي روّج لها كتاب "محاضرات في اللّسانيّات العامّة" الّذي نشره "شارل بالي" و "ألبير سيشهـــاي" بعد وفـــــاة دو سوسير .

إنّ اجتهادات النّاشران ألحقت ضررا وخيما بمحاضرات سوسير و قدماها على أنها تعكس فكره الحقيقيّ ، لكن عملهما كان محاولة لسانيّة تقتصر مدلولاتها على بعض الفروق الّتي من شأنها التّأسيس لعلم اللّسانيّات لا يُعنى إلاّ بما له صلة باللّسان ، بوصفه نسقا من العلامات ، دون أيّ اعتبار لما له صلة بالكلام ، أو الخطاب ، أو الاستعمال اللّسانيّ عموما.[1]

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الي اللّسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص152.

لقد مكّن العثور على مخطوطات لكتاب في اللّسانيّات العامّة من إدراك جوانب خفيّة من الفكر السّوسيري اللّسانيّاتيّ الأصيل ،تحوي مسائل فلسفيّة، و لسانيّة، و ابستيمولوجيّة ، و منهجيّة ، و تاريخيّة.[1]

هذه المخطوطات الجديدة تعكس تصوّرا سوسيريّا جديدا ، أصيلا ، منسجما و هو جانب لا ينحصر في الجانب اللّسانيّ بل يتجاوزه ، مصداقا لقول دو سوسير:" إنّ الطّريقة المُثلى في التّعاطي مع اللّسانيّات هي تناولها من الخارج ، مع شيئ من المعرفة بالظّواهر الهامة من الدّاخل"[2]

إنّ إعادة قراءة مخطوطات دو سوسيرتَقلب موازين عدد كبير من وجهات النّظر ، فالعديد من المسائل الّتي كانت تبدو بديهيّة تُصبح فجأة غير مؤكّدة ، إذ يجب إعادة النّظر بالتّفصيل في كلّ شيئ لتحديد منهجيّة دو سوسير تحديدا دقيقا ، كما تكمن أهمّيّتها في أنّها تردّ له ما ينتمي إليه في النّظريّة الّتي وُضِعت بعد موته على شكل محاضرات في اللّسانيّات العامّة.

إذا ما يجب أن تُضفيه قراءة المخطوطات : إعادة النّظر في الأفكار المسلَّم بها ، و تصحيحها ، و محاربتها ، لا سيما الجملة الأخيرة من محاضرات في اللّسانيّات العامّة ، و هي جملة ليست لسوسير ، و إنّما لناشريه[3] : " إنّ الغرض الوحيد و الحقيقي للّسانيّات هو اللّسان الّذي يُدرس بحدّ ذاته و لذاته".

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص151.

2- نفس المرجع السابق ، ص152.

3- لويك دوبيكير ، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربية 2009 ،ط1 ص 272.

المبحث الثّاني : الموقف الابستيمولوجيّ لفرديناند دو سوسير

1-1 في الابستيمولوجيّات و فلسفتي اللّغة و اللّسانيّات

إنّ أهمّ المناحي المسكوت عنها في الدّراسات اللّسانيّة الّتي نود الإشارة إليها في هذا الفصل كما أشارعدد من الباحثين المحدَثين ، من مثل "فرانسوا راستيي ، و سيمون بوكـــي ، و أنغي ميشونيك ، و تيليو دومورو"، و غيرهم ممّن تعدّدت مداخلهم إلى فكر دو سوسير الّتي باتت تُعرف بلسانيّات دو سوسير الجديدة، فعبارة "اللّسانيّات العامّة"[1] لم تعد تدلّ على ما كان معهودا منها ، بل أضحت تمتدّ دلالتها لتشمل ثلاث حقول معرفيّة ممنهجة [2]:

- **حقل الابستيمولوجيّات:** يندرج هذا الحقل ضمن نقد العلم ، و يشتمل على ما اجتمع من أفكار دو سوسيرالنّقديّة للممارسات اللّسانيّة الّتي عاصرها ، و نعني بها اللّسانيّات التّاريخيّة. فلا يُمكن للباحث أن يطّلع على موقف دو سوسيرالحقيقي و هو يجول في ثنايا كتاب "المحاضرات في اللّسانيّات العامّة " .
- **حقل فلسفة اللّغة:** عبارة عن تحليلات فلسفيّة شبيهة بتحليلات أرسطو حول اللّغة و مسألة الأنساق الدّلاليّة الأخرى أحيانا.

  فمن بعض المسائل ذات الصّلة الوُثقى بفلسفة دو سوسير اللّغوية في معناها العام الّذي يشمل التّعاطي مع جملة المسائل الفلسفية ذات الصلة باللّغة من مثل النّظر في أصلها ، و علاقتها بالفكر ، و بالواقع .
- **حقل الإبستيمولوجيّات المبرمجة:** تُمثّل مجمل آراء دو سوسير ، فيما يجب أن يكون عليه علم اللّغة مستقبلا ، لسانيّات عامّة تستعيد فضلا عن موضوعات الصّرف و المفرداتيّات و التّركيبيّات ، و موضوعات البلاغة و الأسلوبيّات ضمن إطار سيميائيّاتي عام يُنبِّأ عن تصوّر أصيل لطبيعة العلامة اللّسانيّة.[3]

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللّسانيّات ، ابن النّديم للنّشر و التّوزيع ، دار الرّوافد الثّقافيّة – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص151

2- نفس المرجع السابق ، ص147.

3- نفس المرجع السابق ، ص 92.

2-1- موقف دو سوسير الابستيمولوجيّ من اللّسانيّات:

إنّ مجمل الانتقادات الّتي كان سوسير يوجّهها إلى الممارسات اللّسانيّاتيّة التّاريخيّة المُقارِنة تصبّ في دائرة ابستيمولوجيا اللّسانيّات ، و يُعنى بها ما يَندرج ضمن "نقد العلم" ، فاللّسانيّات التّاريخيّة المُقارِنة كثيرا ما انساقت وراء البحث عن الفوارق الّتي تُميّز الألسن و اللّهجات عن بعضها ، و تنظر في تطوّرها و تحوّلها عبر الزّمن ، و تُعنى بأصواتها و صيغها الصّرفيّة ، لكنّها كثيرا ما تجاهلت – في نظر دو سوسير – العلاقة الثّابتة بين اللّغة و الألسن ، و بأنّ إحداهما تستلزم الأخرى ، و لا يمكن الفصل بينهما بأيّ حال من الأحوال. حيث أجهد دو سوسير نفسه في كتاباته في تثبيت هذه الحقيقة ، لكن شارل بالي و ألبير سيشهاي قدّماه على أنّه يجتهد في التّخلّص من مفهومي اللّغة و الكلام فلا يبقى من تصوّراته إلاّ ما له صلة باللّسان ، بوصفه نسقا من العلامات و الموضوع الحقيقي و الوحيد للّسانيّات.[1]

و لعلّ أهمّ هذه الانتقادات تلك الموجَّهة إلى مدرسة بوب ؛عدم تنبّئها إلى أنّ اللّغة " langage" ، ظاهرة من الظّواهر و هي مُمارسة لمَلَكة من ملَكات الإنسان ، في حين أنّ اللّسان "langue" هو مجموع الأشكال المتطابقة الّتي تتجلّى من خلالها إعمال هذه الملَكة من قبل مجموعة من الأفراد في حقبة زمنيّة محدّدة. بل سلّمت بفكرة أنّ للألسُن أجساما خاصّة ، ووجود مستقل عن الأفراد المتكلّمين ، وهذا يعكس مدى تأثّر مدرسة بوب بعلوم الطبيعة و تبنّي كثير من أطروحاتها و تصوّراتها الطبيعيّة مما خلّف آثار وخيمة لحِلقت باللّسانيّات.[2]

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 155 .

2- نفس المرجع السابق ، ص 154 .

لقد كان دو سوسي يُنادي بضرورة التّخلّي عن مصطلح النّحو المُقارِن ، و إحلال مكانه مصطلح اللّسانيّات التّاريخيّة ، حتّى لا تُثار جملة من الأفكار الخاطئة لعلّ أخطرها الاعتقاد في وجود نحو آخر علمي ، غير الّذي يَنتهج المقارَنة بين الألسُن منهجا له .

كما اعتبر دو سوسير أنّ هذه الانتقادات الّتي سجّلها على النّحو المُقارِن ، مُدعاة إلى التّأمّل الفلسفي . فهو يقول في هذا الشّأن: " إنّه لمُدعاة للتّفكير الفلسفيّ ، و سيظلّ دوما كذلك ، أن يكون العلم اللّسانيّ ، الّذي نشأ بألمانيا ، و تطوّر بها ، و أُولِع به عدد لا يُحصى من الأفراد لمدّة خمسين سنة ، لم يرتق إلى درجة من التّجريد تُمكّنه من التّساؤل عمّا هو فاعل ، و يَتساءل عمّا يُحقِّق لصنيعه أسباب الوجود و يُحدِّد موقعه من مجموع العلوم ".[1]

لقد وجّه الباحثون المحدَثون بدورهم ، عدّة انتقادات إلى كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة و إلى ناشريه ، نظرا إلى الخلل الّذي يشوبه في تقديمه صورة فاسدة عن دو سوسير ، بأنّه اللّسانيّ الّذي لا يَعبئ بما جدّ حوله من معارف و علوم لا تُمتّ بالفكر اللّساني بصلة مباشرة ، لأنّ الحقيقة غير ذلك ، فإدراج "نافيل" ضمن كتابه ، " تصنيف جديد للعلوم " تعريف مجمل و دقيق للسيميولوجيّات ، أي علم العلامات ، كان من إسهام سوسير الشّخصي ، وهذا لدليل قاطع عن عدم عُزلة دو سوسيرعمّا اختبره علماءعصره من حوله ، سيّما عندما تَعمَد بعض العلوم المجاورة إلى اختبار مسألة اللّغة ، كما هو الشّأن بالنّسبة لعلم النّفس في مسألة علاقة اللّغة بالفكر ، أو علماء الاجتماع أثناء النّظر إلى علاقة اللّغة بالمجتمع .[2]

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 156 .

2- نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

وقد تبيّن لنا ؛ وفقا لما جاء به الدّكتور زواوي مختار في كتابه "دو سوسير من جديد – مدخل إلى اللّسانيّات- " أنّه لا يمكن بأيّ حال من الأحوال لأيّ باحث أن يطّلع على موقف دو سوسير من النّحو المُقارِن أو أنّه كان في عُزلة عن علوم عصره ، وهو يجول في ثنايا كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة الّذي ألّفه و نشره شارل بالي و ألبير سيشهاي و نسباه إليه ، لأنّ مجموع الانتقادات للنّحو المُقارِن الّتي عبّر عنها دو سوسير تقترح أفكار جادة وواعية بطبيعة الألسُن كما استلهم من علوم عصره علم الكيمياء أو الفيزياء ، وعلم الحساب و الرّياضيّات و المنطق و غيرها و أنّها تُمثّل جانبا قارا من فكره ، و هو جانبه الإبستيمولوجيّاتي.

1-3- فلسفة سوسير اللّغوية و فلسفته اللّسانيّاتيّة:

إذا ما نظر أيّ باحث في المَلمَح الفلسفي لفكر دو سوسير ، فمن الطبيعي أنّه سيتبادر له الاستفسار عن طبيعة هذه الفلسفة و علاقتها باللّسانيّات و السّيميائيّات ، و نعني بها على وجه التّحديد فلسفة اللّغة ، باعتبارها أقرب ميادين الفلسفة بهما .

و لئن نظرنا في مجموع المسائل النّظريّة الّتي تتداولها مؤلّفات فلسفة اللّغة لوجدنا مسائل نظرت فيها اللّسانيّات و السّيميائيّات أيضا ، هذا التّشارك يُوحي إلى الصّعوبة الّتي تجدها فلسفة اللّغة في تحديد موضوعها. و كان "سيلفان أورو" قد دعا للتّقديم لكتابه في فلسفة اللّغة بالجملة التّالية: " ليست فلسفة اللّغة مفهوما قارّا أو مجال مادّة علميّة مُحدَّد المعالم ، بل المُراد منها جملة من الأفكار ذات الأصول المتعدّدة كتلك الّتي تناقلها الفلاسفة و هم ينظرون في اللّغة ،..." حيث نعني ههنا بفلسفة اللّغة في معناها العام منذ العصور القديمة ، لكن فلسفة اللّغة اتّخذت طابعا خاصا منذ نشأة الفلسفة التّحليلية ، و أضحت تَستدعي من موضوعات فلسفة اللّغة العامّة إلاّ ما يدعو إلى تجديد التّفكير الفلسفي و تخليصه مما يشوبه من الميتافيزيقيّة.[1]

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 159 .

فمن بعض المسائل ذات الصّلة الوُثقى بفلسفة دو سوسير اللّغويّة في معناها العام الّذي يشمل التّعاطي مع جملة المسائل الفلسفيّة ذات الصّلة باللّغة من مثل النّظر في أصلها ، و علاقتها بالفكر ، و بالواقع ، ومنشورات دو سوسير الأخيرة توحي على أنّ المسائل المتّصلة باللّغة و الألسُن ، تُثبت مدى درايته بالمسائل الفلسفيّة الّتي شغلت عصره ، طالما كان يستنتج موقفه منها ، و لعلّ مسألة أصل اللّغة كانت واحدة من بين تلك المسائل الفلسفيّة الّتي راودت تأمّله منذ سن مبكرة. و هذا التّأمّل لم ينفصل قطّ عن التّحليل اللّساني ، و خير دليل محاولته منذ سنّ الرّابعة عشر من عمره تصوّر نسق شمولي عن الألسُن من خلال ردّ كلمات الألسُن اليونانيّة و اللّاتينيّة و الألمانيّة إلى عدد محدود من الجذور. [1]

و لبأس أن نشير هنا إلى تلك الانتقادات الّتي كان دو سوسير يوجّهها إلى لغوي عصره و من قِبَلها عدم تنبإهم إلى أنّ اللّغة مجرّد ظاهرة دون إحالتها إلى ميدان بحث معين ، على غرار ما نقرأ عن الفلاسفة ، أو علماء الاجتماع ، أو علماء النّفس ، أو علماء اللّسانيّات و غيرهم من الباحثين ، قولهم أنّ اللّغة ظاهرة إنسانيّة ، أو ظاهرة ثقافيّة ، أو ظاهرة اجتماعيّة ، أو ظاهرة لسانيّة ... [2]

كما أنّ البحث في مسألة أصل اللّغة في نظر دو سوسير بحثا يفتقد إلى العلميّة و لقد تجلّى هذا الرأي في أحسن صوّره في إحدى الفقرات من كتاب الكتابات في اللّسانيّات العامّة إذ يقول : "أصل اللّغة": المسألة عديمة الفائدة بالنّسبة للّذي له فكرة صائبة عمّا هو النّسق السّيميولوجي و ظروف حياته ، قبل أن يَنظُر في ظروف نشأته . ليس ثمّة مرحلة ما تختلف فيها حياة اللّغة عن نشأتها ". [3] و هذا فيه دلالة صريحة بما لفلسفة اللّغة من ارتباط وثيق بالسّيميائيّات (السّيميولوجيا) في فكر دو سوسير.

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 163 .

2- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

3- نفس المرجع السابق ، ص 165 .

و من بين المسائل الأخرى الّتي تناولها دو سوسير ، مسألة العلاقة القائمة بين اللّغة من جهة و العقل و الفكر من جهة أخرى .

في نظر دو سوسير : " ليس الفكر هو الذي يُنتج العلامة ، بل إنّ العلامة هي الّتي توجّه الفكر..." [1]

كما يُؤكّد دو سوسير على أنّه يجب أن تُأخذ الطبيعة التّاريخيّة و الاجتماعيّة للّغة بعين الاعتبار حتّى تستوي العلاقة القائمة بين اللّغة و الفكر.حيث عاب على علماء النّفس قلّة معرفتهم بالقوانين الّتي تُسيّر اللّغة قائلا: " لم يكن لعلماء النّفس ، قدماء و محدثِين إذا ما هم أُومِئوا إلى الألسن أو اعتبروها حاملا للفكرة ، فكرة عن قوانينها . إنّهم بدون استثناء يعتقدون بأنّ اللّسان " langue " شكل ثابت ، إنّهم يتحرّكون ضمن ما أُسَمِيه بالمقطع الأفقي للّسان دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عن الظّاهرة الاجتماعيّة و التّاريخيّة الّتي تَنتج عنها " . [2]

بالإضافة إلى مسألة لا تقل أهمّيّة عن سابقاتها ، "... تُمثِل المُرتَكز الأوَّل و الأخير لاعتبارات لسانيّة ، و تاريخيّة ، و فلسفيّة ، و نفسيّة ليست الشّكل و لا المعنى و ليس أيضا الاختلاف بين المعاني بل إنّ مدار الأمر على الاختلاف القائم بين الأشكال" [3]

أما الملمح الآخر من ملامح فكر دو سوسير اللّسانيّاتي ، و هو الّذي تُعبّر عنه عبارة فلسفة اللّسانيّات ، حيث أضحى لهذه الأخيرة موقع بارز ضمن دوائر فلسفة اللّغة الشّاسعة ، لكن إسهامات دو سوسير في هذا المجال باتت مُغيّبة منذ نشر كتاب المحاضرات في اللّسانيّات ، على الرّغم من أنّ دو سوسير ما انفك في محاضراته في اللّسانيّات العامّة يؤكّد على المنحى الفلسفي الّذي سلكته أطروحاته.

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 165 .

2- نفس المرجع السابق ، ص 166 .

3- نفس المرجع السابق ، ص 167 .

لقد ميّز سيمون بوكي بين مكوّنيْن فيما أسماه بفلسفة اللّسانيّات من فكر دو سوسير بين[1]:

مكوّن داخلي: يبحث في عدّة مسائل منها ما تعلّق بمفهوم العلامة اللّسانيّة من مثل وحدتها ، و طبيعتها ، و تحوّلها ، وثباتها ، و اعتباطيتها ، و غيره من المسائل اللّسانيّاتية التي كثيرا ما زاحم الفلاسفة علماء اللّغة فيها .

مكوّن خارجي: لا يقتصر على عدد من المسائل دون غيرها من المسائل المؤلِّفة للنّظريّة اللّسانيّاتية ، بحيث يبدو التقابل بين ماهو فلسفي و ما هو غير ذلك بارز فيها ، إنّما يُميّز النّظريّة اللّسانيّاتية بكاملها.

مما تقدّم نستنتج أنّ "شارل بالي و ألبير سيشهاي" قد غاب عنهما المَلمَح الفلسفي لفكر دو سوسير ، لأنّهما تخلّفا عن دروس أستاذهما ، إضافة إلى قلّة المصادر الّتي استعانا بها في صياغة كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة ، و لقد بات معلوما الآن أنّ دو سوسير كثيرا ما كان يُردّد في دروسه عبارة فلسفة اللّسانيّات.

و كدليل على استعمال سوسير عبارة فلسفة اللّغة ، استعمال" بول روغار" و هوأحد طلبة دو سوسير ممن تابعوا دروسه من السنة الجامعية (1908م- 1909م) ، في مقدّمة كتابه " إسهام في دراسة الحروف في لغة الهند الجديدة " ، الصّادر سنة 1919 م، حيث يقول: "إنّ طبيعة اللّسان ، و مبادئ اللّسانيّات و طرائقها ، و الحقائق الّتي يُشكّل مجموعها فلسفة اللّسانيّات ، إذا ما أردنا أن نستعير العبارة الّتي استخدمها دو سوسير و ارتضاها عنوانا لهذا الجزء من محاضراته ، كلّها مسائل أبرزتها هذه المحاضرات ". [2]

كما أخبر" رايدلنغر" هو الآخر عن استعمال دو سوسير لتسمية فلسفة اللّسانيّات في واحد من الحوارات بتاريخ 19 جانفي 1909م ، و نقل عنه قائلا:" سيتّطرق السّيّد دو سوسير هذه السّنة إلى مسائل ترتبط بالألسن الهنديّة الأوروبيّة ، و سيكون ذلك بمثابة مقدِّمة لدروس في فلسفة اللّسانيّات ، و إنّه لا يرى أيّ مانع من أن يباشرها في السّنتين المقبلتين".

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الىّ اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 160 .

2- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

إذا ما يجب التّوكيد عليه هنا هو الفكر المُتعدّد و المُتنوّع و هو المنحى الفلسفي الّذي اتخذه فكر دو سوسير من حين لآخر، و من الإجحاف اختزاله في بعض الفروق المنهجيّة و بعض التصوّرات اللّسانيّة ، فعُمق تصوّر دو سوسير و حواره المستمر مع تصوّرات الفلاسفة ، سواء ما اتصل منها باللّغة ، أو بإحدى خصائصها أو مظهرا من مظاهرها .

فمثلا ما قام به دو سوسير من تنبيه على مسألة طبيعة الألسن الاجتماعيّة الّتي جهلها فلاسفة القرن الثامن عشر ، و الإعراض عن بعض التصوّرات ، ومن ذلك مثلا انصرافه عن المدلول الفلسفي لمفهوم القانون ، بصريح عباراته : " لسنا نبغي التّفلسف حول مصطلح القانون ، إنّما نستخدمه كما جرى العُرف العام على استعماله ، و بالمعنى الّذي سار بين العامّة". وهذا بطبيعة الحال ما كشفت عنه النّصوص المنشورة حديثا [1]

4-1- في بيان مفهوم العلامة و موقعها من سيميائيّات دو سوسير

إنّ الباحث و هو يتصفّح ما استجد من لسانيّات دو سوسير الجديدة ، المستندة إلى ما كتبه دو سوسير حقا ، خاصّة ما اتّصل بفكره السّيميولوجي من مخطوطاته.

و في هذا الشأن نُشير إلى ما عثر عليه "سيمون بوكي" أحد محققي كتاب "محاضرات في اللّسانيّات العامّة" ، ضمن مخطوطات دو سوسير الجديدة ، وفي هذا المخطوط يكشف دو سوسير عن تصوّر سيميولوجي لا نجد له مثيل في كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة و هو في شكل معادلة على النحو التّالي: السّيميولوجيا = المورفولوجيا ، النّحو ، التّركيبات ، التّرادف ، البلاغة ، الأسلوبيّات ، المعجميّات ، إلخ ، الكلّ متّصل .[1]

و قد صبّت تفسيرات " فرانسوا راستيه " للمعادلة بغرض إعادة النّظر في السّيميولوجيا السّوسيرية بوصفها لسانيّات للنّصّ.

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 162 .

2- نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

3- نفس المرجع السابق، الصفحة 167.

ففكر دو سوسير السّيميائيّاتي هو في الحقيقة تصوّر لساني بالدّرجة الأولى ، يُؤسّس لوحدة لا انفصام لها في إطار السّيميولوجيّات اللّسانيّة ، بين فروع اللّسانيّات المعهودة من مثل المورفولوجيّات ، و المفرداتيّات ، و التركيبيّات ، و الدّلاليّات و هي علوم تُعنى بدراسة اللّسان ، و علوم أخرى تتّصل بدراسة الكلام من مثل البلاغة و الأسلوبيّات و غيرها ، و هو تصوّر ينسجم غاية الانسجام مع تصوّر دو سوسير للّسانيّات الّتي لا يمكن الفصل فيها بين لسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام .

كما حاول " تيليو دو مورو" ، و هو أحد المتخصّصين في لسانيّات دو سوسير إعادة رسم معالم تطوّر فكر دو سوسير اللّسانيّاتي . "يمكنني القول بأنّ دو سوسير كان يُجابه أربعة مراحل رئيسية: [1]

المرحلة الأولى : التّعرّف على الطّابع العلائقي للوحدات اللّسانيّة ، إنّ الوحدة اللّسانيّة لا تكتسي في ذاتها أيّة قيمة بل تكتسي قيمتها من العلاقات الّتي تقيمها مع الوحدات الّتي تتواجد معها.

المرحلة الثّانية : فهي الطّابع السّيميولوجي للألسن . إنّ اللّسان بوصفه نسيجا من العلاقات ، يُعد في نظر دو سوسير نسقا من العلامات ، مُتميّز عن باقي أنساق العلامات الأخرى.

المرحلة الثالثة : توكيد دو سوسير على الطّابع الخطّي للعلامة اللّسانية ، و يُفضي إلى إبراز تتابع الأجزاء المُكوّنة للجملة ، و قد أسماها بالتّركيب " syntagme " .

المرحلة الرّابعة : البحث في اللّسان بوصفه شكلا ، الّتي تبدأ بدروس السّنة الجامعيّة الثّالثة.

و الغاية مـــن هذا الفصل هو إعادة النّظر في بعض المفاهيم المتّصلة بمفهوم العلامـــة ، و النّظر في طبيعة اللّسان بوصفه نسقا من العلامة ، و التّحقّق من خصوصيّة العلامة اللّسانيّة بالتّوكيد على طابعها الخطّي .

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 170 .

الفصل الثّاني

مفاهيم و مصطلحات فرديناند دو سوسير

المبحث الأوّل:اللّغة ، اللّسان ، الكلام ، النّسق . لسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام.

المبحث الثاني :العلامة ، اعتباطية العلامة ، خطية الدّال .

المبحث الأوّل : اللّغة و اللّسان و الكلام

تعتبر المفاهيم و المصطلحات اللّسانية السّوسيرية حلقة مهمّة في البحث اللّساني باعتبارأن تلك المخطوطات تحمل جانبا مهمّا في التّأمّل العميق لتحليل مُجمل الظّواهر اللّغويّة الخاصّة باللّغات و اللّسان البشري . فما يزال فكر سوسير و قيمة نظريّته ضمن اهتمامات لسانيّات القرن العشرين منذ أن ظهر مؤلّفه الشّهير " محاضرات في اللّسانيّات العامّة" و نصوصه الأخرى الّتي تمثّلت في الأبحاث و المخطوطات الجديدة حيث تُعدّ محور بحث و جدل و تنقيب العديد من الدّراسات الأكاديميّة.[1]

تُمثِّل اللّغة langage- اللّسان langue- الكلام parole الحلقة البارزة في دراسة مختلف الظّواهر اللّغويّة للنّصوص و المخطوطات الجديدة حيث تعمل هذه المفاهيم على تأطير المعرفة اللّسانيّة تأطيرا سليما.

هذه العناصر الثّلاثة متّفق عليها في العُرف اللّساني بأنّ اللّغة هي نظام من العلامات و الصّيغ و القواعد ، ينتقل من جيل لجيل و ليس له تحقّق فعلي ، لأنّ النّاس لا يتكلّمون القواعد ، إنّما يتكلّمون وفقها. أمّا اللّسان فهو ظاهرة عامّة تتمثّل في العُنصريْن (اللّغة و الكلام) مُجتمعيْن معا ، الفردي (الكلام) و الاجتماعي (اللّغة) ، ثم الكلام هو كلّ ما يلفظه أفراد المجتمع المعيّن ، أي ما يختارونه من مفردات أو تراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النّطق. [2]

إذا فاللّغة و اللّسان و الكلام مفاهيم أوّلية في اللّسانيّات الحديثة لكنّها تُمثّل القلب النّابض في تثبيت المفاهيم النّظريّة و المنهجيّة للدّرس اللّساني.

1- مصطفى غلفان، تحوّلات المصطلح اللساني الحديث في ضوء القراءات الجديدة لمخطوطات سوسير ، مجلّة علوم اللغة العربية و آدابها، الطارف - الجزائر، المجلّد :13 العدد : 01 ، ت: مارس 2021.

2- نفس المرجع السابق.

كان سوسير في الفترة (1891م-1894م) يَعتبر أنّ اللّغة و اللّسان شيئ واحد، وكل ما بينهما من فرق يَتمثّل في أنّ اللّغة تعميم للّسان ، و نحن نتحدّث عن اللّغة عندما يتعلّق الأمر بالدّراسة العامّة للّغة . أمّا اللّسان فيتعلّق بدراسة التجلّيات الخاصّة بألسُن ملموسة كاللّسان الفرنسيّ أو العربيّ...[1]

و يُمكن القول أنّ تمييز اللّسان عن الكلام تمييزا واضحا لأوّل مرّة ، يعود إلى المرحلة الأولى من دروس العام الأوّل (1907م) ، و ذلك في سياق حديث سوسيريقول: " إذا كان صحيحا أنّنا دائما في حاجة إلى كنز trèsor/ ذخيرة اللّسان لنتكلّم ، تَبادُليا ، فإنّ ما يَلِج اللّسان يكون قد اختُبِر أوّلا عددا كافيا من المرّات في الكلام ليَنتُج عنه انطباع دائم . إنّ اللّسان ليس إلاّ تكريسا لما استُحضِر في الكلام". و التّفريق بين اللّسان و الكلام في نظر سوسير له قيمة منهجيّة أكثر من أيّ شيئ آخر، لأنّه يُلقي الضّوء على دراسة اللّغة.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ شارل بالي و ألبير سيشهاي أهملا التّقسيم الّذي اعتمده سوسير كمخطط في دروس العام الثّالث (1910م-1911م) الّذي يتضمّن ترتيب القضايا الّتي سيتناولها في دروسه في إطار حديثه عن مكوّنات الظّاهرة اللّغويّة و العلاقة بينهما . ذلك لأهمّيّة مسألة تنوّع الألسن في المكان و الزّمان و مكانتهما ضمن أولى القضايا الّتي يتعيّن على اللّسانيّات أن تتناولها ، و إبراز العلاقة الوطيدة بين الألسن و اللّسان .

و تضمّن المُخطَط الأشياء التّالية:

الألسُن – اللّسان – المَلَكة اللّغويّة [2]

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس –ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 136.

2- نفس المرجع السابق ، ص 137.

يرمي هذا المُخطَط إلى أنّ اللّساني يجب عليه أوّلا أن يَدرُس الألسُن ، أكثر ما يمكن منها حتّى يستطيع أن يستخلص سِمات عامّة ليحتفظ بما هو أساسي و كُلّي إلى جانب ما هو خاصّ و عرضي ، ثم يَختصِر في اللّسان ما يمكن أن يُلاحظه في الألسُن من تبايُن.

و على أساس الدّلالة العامّة الّتي يكتسبها اللّسان من سلسلة الألسُن المتنوّعة ، استبدل سوسير مفهوم اللّغة الّذي اعتبره عنصرا موجّها في دراسة الألسُن . و يدلّ اللّسان على البُعد العام في اللّغة أيّ اللّسان الواحد و المتعدِّد في الوقت نفسه دون أن يَعني ذلك أنّه يساوي اللّغة أو يعادلها.

أما كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" ، فيعرض مسألة العلاقة بين الألسُن و اللّسان في موضعين متباعدين كما لو لم تكن بينهما أيّ علاقة . ترِد مسألة تنوّع الألسُن في الفصل الرّابع الّذي يحمل عنوان" اللّسانيّات الجغرافيّة".و ثمّة فرق بين أن يَرد موضوع معيّن في نهاية الكتاب و أن يَرد في مقدِّمته.[1]

ممّا تقدّم ذكره ، يظهر أنّ اختيار النّاشران اللّسان قاعدة للّسانيّات سوسير جاء انسجاما مع فكرة النّسق عنده ؛ أيّ "اللّسان باعتباره نسقا " و كلا بذاته[2] . لكن يبدو أنّهما عجزا عن الإلمام بتصوّر سوسير عن العلاقة بين اللّسان و الألسُن في صياغة موضوع اللّسانيّات، سِيما أنّ مفهوم اللّسان عند سوسير نفسه لا يُستخلص إلاّ من سلسلة الألسُن المتنوّعة. و أن ما غاب عنهما هو البُعد الابستيمولوجي الّذي اعتمده سوسير في ظبط موضوع اللّسانيّات، و بالتّالي فإنّ كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة " حجب القيمة الابستيمولوجيّة لتمييز اللّغة عن اللّسان.[3]

1- مصطفى غلفان ، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017، ص 139.

2- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل للسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص2.

3- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 141.

➢ اللّغة:

ماهي اللّغة؟ ليس من السّهل الإجابة عن هذا السؤال ، إذ لا يمكن إدراك اللّغة بشكل مباشر . و لمقاربتها ، يجب على الأقل اعتبار أنّها ليست مُجرّد مَلَكة يملكها الإنسان .لأنّه يمكن أن يُستخلص من اللّغة ، من حيث هي مَلَكة إنسانيّة ، أيّ شيئ غير ماديّتها (الطريقة الّتي يتمّ بها النّطق بالأصوات مثلا) ، و بالتّالي ، يجب على الأقل التّمييز بين اللّغة كمَلَكة ، و الألسُن كتحقيق للّغة ، إذ إنّ اللّغة كمَلَكة تَظهر لنا بشكل أساسي على شكل الألسنة ، و بالتّالي لا يمكن تناول دراسة اللّغة من دون الارتكاز على دراسة الألسنة.

و هكذا لا يمكننا أن نتناول اللّغة من دون الألسنة الّتي تُشكِّل تجلّيا لها ، و لا الألسنة من دون إلقاء نظرة على اللّغة . هذه الحركة الدائمة يجب أن تؤدي إلى وضع مجموع المبادئ الّتي ترتكز عليها اللّغة. [1]

و بالتّالي يكون هدف اللّسانيّات تفحّص القوانين العامّة للّغة ، و من أجل ذلك يجب الانطلاق من الوقائع ، إذ لا يمكن استنتاج " القوانين العامّة " للّغة إلا من " أشكالها الخاصّة " أي من الألسنة ، و من المراقبة الّتي يمكن أن نقوم بها. [2]

إذا " اللّغة ظاهرة ؛ إنّها ممارسة لمَلَكة موجودة في الإنسان ، و لا يمكن تناولها مباشرة : فهي تقع بين عدّة مجالات (فيزيائي ؛ فيزيولوجي ؛ نفسي ؛ و المجالين الفردي و الاجتماعي) و بالتّالي ، نحن لا نعلم كيف نُضفي عليها صفة الوِحدة. [3]

1- لويك دوبيكير ، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربية 2009 ،ط1 ص 52.

2- نفس المرجع السابق ، ص 54.

3- نفس المرجع السابق ، ص 55.

اللّغة بمعناها العام ظاهرة "يستمدّها الإنسان من الطبيعة " و تُميزه عن غيره من الكائنات الحيّة . و هي نوع من الاستعداد البيولوجي عند الإنسان لاستعمال نسق صوتي ذي طبيعة خاصّة داخل المجتمع. و تمنحنا الطبيعة كائنا مُهيّأ ليتكلّم مع بني جنسه بواسطة نسق من العلامات اللّغويّة. و لن يتمكّن الكائن المتكلّم من استعمال جهازه الصّوتي إلاّ ضمن المجموعة البشرية الّتي تحيط به.[1]

تُمثل ازدواجية مصطلح اللّغة في التّفكير السّوسيري الحديث ركيزة مُهمّة في الدّرس اللّساني حيثُما ننظر إلى اللّغة نجدها ذات طبيعة مزدوجة ، إنّها تُقدِّم على الدّوام وجهين متقابلين ، ليس لأحدهما قيمة إلاّ بالآخر . فهي تتضمّن دائما و في الوقت نفسه جانبا فرديّا و جانبا اجتماعيّا ، و مظهرا فيزيائيّا يُقابله مظهر نفسي ،وجانب فيزيولوجي يُقابله جانب إدراكي ، و مظهرا صوتيا يُقابله جانب معنوي وهكذا.[2]

و نعني "بالازدواجيّة" أنّ الظّاهرة اللّغويّة أو الحدث اللّغوي ، أيّا كانت طبيعته و حجمه ، حصيلة تَضادّ و تَقابل بين شيئين يجب على التّحليل أن يُميّز بينهما ؛ و أن يُبرز حركة التّناقض الدّاخلي الحاضرة بينهما على الدّوام دون أن تُسند لأحدهما أية أولويّة.[3]

إذا ما يتجلّى ظاهرا أنّ سوسير، انطلق من ازدواجيات ليؤسّس عليها تصوّراته الجديدة في إطار نسق تصوّري عام ، لعلّ أبرز مكوّناته وأهمّها و ليس أقلّها مُجمل ثنائيّاته الشّهيرة الّتي تجد أصولها في الازدواجيات.

1- مصطفى غلفان ، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا ، ط1، جانفي 2017 ، ص 112.

2- نفس المرجع السابق ، ص 113.

3- نفس المرجع السابق ، ص 116.

تُعدّ اللغة في التّحوّل المصطلحي الجديد ظاهرة شُمولية توجد عند جميع الأفراد في كل زمان و مكان بصرف النّظر عن اختلافاتهم العرقيّة و الحضاريّة ، و اللّغة في كُلّيتها ظاهرة معقدة ، فهي ذات تجلّيات متعدّدة الأشكال و غير متجانسة في مختلف مظاهرها.[1]

- **اللّسان :**

اللّسان هو مجموع الأشكال المتطابقة الّتي تتّخذها اللّغة لدى مجموعة من الأفراد وفي زمن محدّد . بمعنى أنّ " اللّسان " يتّخذ معاني متنوّعة و فعّالة ، إذ إن اللّسان بالنّسبة لسوسير ليس لسانا فحسب ؛ " اللّسان (دائما معرفة اللّسان المحدّد الّذي قرّرنا دراسته)". و اللّسان هنا يأتي بمعنى "لغة قوم" أيّ لسان معين (الفرنسيّة ، الألمانيّة...). [2]

و لكـــن "اللّسان" هو خاصة هذا المجموع من المراقبات و المبادئ الّتي يستخلصها اللّغوي من دراسة الألسنة . و يعود إليه دو سوسير حتى في آخر محاضراته : " الألسنة هي الشيئ الملموس الموجود أمام اللّغويّين على سطح الأرض . اللّســـــان هو الإسم الّذي يمكن إطلاقه على ما استطاع اللّغوي استخلاصه من مراقبته مجموع الألسنة ، عبر الزّمان و عبر المكان ".

يمكن هنا ملاحظة الانتقال بين " الألسنة" و "اللّسان" . و بما أن الأهمّيّة تكمن في استنتاج المبادئ ، فإنّ هذه الأخيرة تتلاقى ، بواسطة " التّجريد" في مجموع يُطلِق عليه دو سوسير إسم " اللّسان" . حيث يرتكز هذا "التّجريد" على الوقائع الّتي تَمّت مراقبتها في الألسنة ، و يأتي نتيجة " التّعميم" الّذي يمكن القيام به لهذه الوقائع. [3]

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس –ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 112.

2- لويك دوبيكير ، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربية 2009 ،ط1 ص 55.

3- نفس المرجع السابق ، ص56.

- **واقع اللّسان اجتماعيّ**

إنّ مقاربة دو سوسير للّسان نفسية على الأخصّ ، إذ يبقى " الفـــرد" محور التّحليل عنده . فهو الّذي يُشكل ركيزة ما يُبرهنه ، لأنّه لا يمكن مراقبة اللّسان إلاّ من خلاله.وهذا أيضا أحد السُبُل الّتي اتّبعها دو سوسير لتناول البُعد الاجتماعي للّسان.

يُشير دو سوسير إلى : " اللّسان واقع إجتماعي . إنّ الفرد المُعدّ لأن يتكلّم ، لن يتمكّن من استعمال جهازه إلاّ من خلال المجتمع المحيط به ، هذا بالإضافة إلى كونه لا يشعر بأي حاجة لاستعماله إلاّ في علاقاته معه . إنّه مرتبط كامل الارتباط بهذا المجتمع .[1]

- **القيمة اجتماعيّة**

في نظر دو سوسير ، ليس هناك من شك في أنّ اللّسان " نظام إشارات " ، أي نظام قيّم. بحيث تأتي هذه القيّم من التّباينات و التّقابلات الموجودة بين مصطلحات النّظام .فإذا كان الشّخص المُتكلّم المكان المفضل لمراقبة اللّسان ، فإنّ نقطة المراقبة هذه تجد حدودها في عدّة أماكن . و رغم المنهجيّة المتّبعة ، الّتي تركز التّحليل على الشّخص المتكلّم ، يبقى " من غيرالمجدي دراسة ما يحصل عند الفرد المعزول ، فهذا الأخير غير قادر على تحديد قيمة ما.[2]

إذا لا يمكن للفرد أن يقوم بأي شيئ وحده : ليس بإمكانه أن يحدّد قيمة قد تُنتج معنى معروفا و مشتركا . يقول دو سوسير " كلّ أنواع القيّم ، و إن كانت تستعمل عناصر جدّ مختلفة ، لا تجد أساسا لها إلاّ في الوسط الاجتماعي و القوّة الاجتماعيّة ".و بالتّالي البُعد الاجتماعي ، "الوسط الاجتماعي ، و القوّة الاجتماعية " ، هذا هو ما يمنح النظام كل قيمة".[3]

1- لويك دوبيكير ، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربية 2009 ،ط1 ص 198.

2- نفس المرجع السابق ، ص 214.

3- نفس المرجع السابق ، ص 215.

لقد عُثرحديثا على ملاحظة مخطوطة الّتي دوّنها "ردلينغر" خلال محاضرة دو سوسير مفادها: "مهما كان موقع اللّسان ضمن الأنظمة السّيميائيّة الأخرى ، فإنّ هذا الموقع يُحدِّد ما إن يُحدَّد اللّسان على أنّه نظام من القيّم . فينبغي العُثور على أساسها في الجماعة..." . [1]

- **اللّسان نسق من القيّم**

إنّ كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة أكدّ في مواطن عدّة من فصوله ، على الطّابع النّسقي للألسن ، إلاّ أنّ النّصوص الجديدة باتت أكثر جلاء ووضوح في هذه المسألة ، فصحيح أنّ اللّسان نسق من العلامات ، و لقد أضحت هذه المقولة من مسلّمات البحث اللّسانييّاتي الحديث ، لكنّها ما تزال في كثير من الأحيان لا يُستفاض في كلّ ما تنطوي عليه من نتائج منهجيّة ، و لا يُوقَف على كلّ ما تتضمّنه من دلالات و استنتاجات.

فالجديد في الفكر السّوسيري أنّ مصطلح اللّسان ليس فقط نسقا من العلامات ، بل إنّه نسق من القيّم ، و لعلّ أولى الخطوات الّتي قادت في اعتبارنا إلى الانتقال من مفهوم النسق إلى القيّم هو التّرادف الحاصل في تصوّره بين مصطلح القيمة و الدّلالة .

و يتجلّى مفهوم اللّسان بوصفه نسقا من القيّم ، في قول دو سوسير :" إنّ اللّسان مهما اختلفت وجُهات النّظر الّتي تتناوله انطلاقا منها ، لا يتمثّل في نسق من القيّم النّسبيّة أو السّالبة ، و ليس لها وجود إلاّ من خلال المقابلة القائمة بينها".

فاللّسان يتموقع داخل النّظام اللّغوي ، و يستمدّ قوته ووجوده من قيمة المعاني الموجودة في ذهن المتكلِّم. بحيث يهتمّ اللّسان بمُجمل القواعد و الأنظمة اللّغوية الّتي تساعد في تفسير الظّاهرة اللّغويّة، و يرتبط استعمال اللّسان بحدوث علاقات اجتماعيّة و ثقافيّة ، حيث تُستخدم طاقة لغويّة كامنة في ذهن المتكلِّم من أجل عمليّة تواصلية و تعبيرية ناجحة.[2]

1- لويك دوبيكير ، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربية 2009 ،ط1 ص 215.

2- زواوي مختار ، من المورفولوجيات إلى السيميائيات، مدخل لفكر فرديناند دو سوسيرص104.

➢ **الكلام**

إنّ أهمّيّة دراسة الكلام و دوره الجوهري في النّشاط اللّغوي واضح عند جميع الأفراد المُتكلّمين ، فدراسة الكلام هي أوّل دراسة تُساعدنا على الاستنباط و الفهم العميق لآليات تنفيذ و اشتغال اللّسان و تحقّقه بشكل عادي و طبيعي ، إلا أن دور الكلام و قيمته ينبغي أن لا يظلا محصورين في التّبعيّة للّسان و الخضوع المطلق له ، بالرّغم من الرّوابط المتينة نظريّا و منهجيّا بين هذين الجانبين الأساسيين في النّشاط اللّغوي البشري فإهمال الكلام و إقصائه من حيّز الدّراسة اللّسانيّة هو في الواقع إهمال لجوانب جوهريّة في عمليّة التّواصل عند الأفراد المُتكلّمين.[1]

لقد تمثّل استعمال مصطلح الكلام في المخطوطات اللّسانية الحديثة في ثلاثة صيغ:[2]

- **التّصويت** ،أي أنّه كلّما أصبح علم الأصوات (phonitique) أكثر دقّة في تحديد الثّغرات الّتي تطرأ على الصّوت وجب الانتباه لشروط تجاور الفونيمات في الكلام ، أي الشروط الطبيعيّة للمقاطع الصّوتيّة.

- يُستخدم مصطلح الكلام أيضا بمعنى **الفعل الواعي** و **المُدرك** لتسلسل الوحدات التّركيبيّة في النّظام اللّغوي.

إذا يُعد مصطلح الكلام و مُمَارسة الكلام في السّوسيرية الحديثة عنصران مهمّان حيث يُعتبران قوّة **فاعلة** و **مصدر** حقيقي للكشف عن الظّواهر اللّغويّة.

نستخلص من هذه الصيغ أنّ الأصوات تُمثّل البِنية الّتي يتكون منها الكلام و ما يطرأ عليها من تغيُّر يكون بفعل عوامل فيزيائيّة ، أما مُمَارسة الكلام فتتمثّل على مستوى الفرد المُتكلِّم.

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس –ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 159.

2- ميشال أرفيه ، البحث عن فرديناند دي سوسير ، تر، د. محمد خير محمود البقاعي ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2009 ،ط1 ص160-161.

يذهب " باختين" في نقده ثُنائية سوسير لسان/كلام ، إلى القول إنّ تعارض اللّسان مع الكلام الّذي يُشبه التّعارض بين المُجتمعي و الفردي ، يُشكل نواة الوهم عند سوسير..."[1] و عزف "رومان ياكبسن" على نفس الوتيرة في نقده مفهوم اللّسان عند سوسير .

فاللّسان جماعي و فردي في الوقت ذاته ، و هو جماعي باعتباره مجموعة من المواضعات ، كما انّه يتضمّن أيضا جوانب فردية ما دام كلّ فرد يمتلك مجموعة من العلامات اللّغويّة الشّخصيّة ، من خلالها يتمّ تحقّيق اللّسان كمعيار نموذجي مشترك.

و يقتضي تجاوز ثنائيّة لسان/كلام الإقرار بجدليّة العلاقة ليس بين طرفي الثنائيّة ، و إنّما الازدواجيّة.[2]

توحي هذه الانتقادات إلى أنّ شارل بالي و ألبير سيشهاي فصلا جذريا بين اللّسان والكلام وقطعا أي صلة تفاعليّة و تبادليّة بين الجانب الاجتماعي و الفردي في اللّسان و الكلام على حدّ سواء في كتاب "محاضرات في اللّسانيّات العامّة" في طبعته الشّائعة ، و نسباه إلى سوسير.

➢ النّسق

يُعدّ النّسق من بين المفاهيم الّتي استعانت بها لسانيات دو سوسير في تحقيق القطيعة مع التّصوّرات السابقة لطبيعة العلامة و علاقتها بالفكر و العالم ، لا سيما إلى تصوّرهم الألسن البشرية مدوّنة من مفردات تُحيل إلى عالم خارجي ، و هو تصوّر يجعل من اللّسان قائمة من الكلمات تُقابل مجموعة من الأشياء ليس إلا ، فيحجب حقيقة اللّسان بوصفه نسقا من العلامات و طبيعة هذه الأخيرة الاعتباطية.[3]

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس –ليبيا،ط1، جانفي 2017، ص 131 .
2- نفس المرجع السابق ، ص 132.
3- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 174.

و تجد تصوّرات سوسير نواتها في البحثيْن الّذي أنجزهما و هو طالب بجامعة لايبزيغ الألمانيّة .فقد أدرج في أوّل بحث جامعي له مذكّرة في "نسق مُصوّتات الألسُن الهندو-أوروبيّة الأولى (الصادر سنة 1879م) مفهوما جديدا وقتها في الدّراسات اللّغويّة هو مفهوم النّسق Système الّذي يقضي بأنّ قيمة العنصر الواحد لا تكمن في سيماته الفرديّة المادّيّة المُلازمة له ؛ و إنّما في سياق علاقاته الاختلافية بالعناصر الموجودة معه في النّسق نفسه .

أما المفهوم الثّاني الّذي اعتمده سوسير في تحليله الصّرف – تركيبي لظاهرة الإضافة المطلقة في اللّسان السنسكريتي ، فهو مفهوم القيمة la valeur . و سيكون لهذين المفهوميْن في نظريّة سوسير اللّغويّة و المنهجيّة دور جوهري.[2]

لقد تنبّه الباحثون المُحدَثون إلى ضرورة إعادة النّظر في موروث دو سوسير اللّسانيّاتي ، لا سيما مذكّرته ، من منظور ما استجدّ من مخطوطاته في اللّسانيّات العامّة ، بحيث تُعدّ المذكّرة " في النّسق الأصلي للصّوائت في الألسن الهنديّة الأوروبيّة" أحد المنافذ إلى فكر دو سوسير الأصيل و فيها تبلورت أولى خصائصه العلميّة .

لأنّ هذه المذكّرة تُنبّأعن جانب كبير من التّجانس بين مكوّناتها و التحامها ، خلافا ما هو عليه كتاب المحاضرات الّذي يشوب أجزاءه الاضطراب إلى حدّ التّناقض في بعض المواطن منه[1] ، فقد استطاع التّعرّف على ما يُميّز اللّسان عن غيره.

يقول دو سوسير:" إنّ القيّم الّتي تتألّف من نسق اللّسان أساسا،أو أي نسق من الإشارات،لا تتمثّل في الأشكال و لا في المعاني ، و لا تتمثّل في العلامات و لا في الدّلالات ،إنّما تتمثّل في نسبة (Raport) عامّة قائمة بين العلامات و الدّلالات ،نسبة قائمة هي الاختلاف العام القائم بين العلامات فيما بينها من جهة و بين الاختلاف العام القائم بين الدّلالات فيما بينها"[3]

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس –ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 59.
2- نفس المرجع السابق ، ص 141.
3- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 177.

ما نلمسه من هذا القول أنّ مفهوم النّسق لا ينفصل ، في فكر دو سوسير عن مفهوم الشّكل كما أنّه لا ينفصل عن مفهوم القيمة ، بحيث دو سوسير لم يُميّز بين مفهوم القيمة ، و المعنى و الدّلالة ، و الوظيفة ، و الاستعمال، بل الواحد منها يستدعي دوما الآخر ، ذلك أن النّسق نسق من العلامات و هو في الآن ذاته نسق من القيّم .

كما أنّ ما يدعم هذه الفكرة قول دو سوسير: إنّ الإقرار بالشكل "forme" دون أيّما اعتبار للاستعمال يُحيل إلى الصّورة الصّوتيّة "figure vocal" الّتي هي من اختصاص الفيزيولوجيا أو الصّوتيات". [1]

فالجانب الصّوتي مهمّ في اللّسان ؛ و يجب الاهتمام بأصوات اللّسان و دراستها ، لكنّه جانب في حدّ ذاته غريب عن جوهر اللّسان و ماهيته الحقيقيّة. و قيمة أي صوت ليست كامنة فيه كمادة صّوتية، و إنّما في تقابله مع أصوات أخرى ، وهذا هو التّطبيق الأوّلي لمبدإ التّقابلات أو القيّم المُتبادلة أو المقدرات السّلبيّة و النسّبيّة الّتي تخلق حالة لسان . [2]

يُقدّم سوسير ثلاث حالات يُوّضح بها كيف أنّ الوحدات اللّغويّة أو المقادير grndeurs كما يُسميها أيضا ؛ يخضع بعضها لبعض . و تتعلّق هذه الحالات بما يلي [1]:

أوّلا: لا أحد يستطيع تحديد الكلمة أو ظبط دلالتها دون اعتبارما يحيط بها ؛ و على العكس من المجالات المعرفيّة الأخرى الّتي تقوم على وجود أشياء في حدّ ذاتها، ليست وحدات اللّسان وحدات إيجابيّة و ثابتة."فالكلمات تخضع للنّسق ، و هي تحتلّ مكانا موحّدا يخضع بدوره لمكان الكلمة الّتي تجاورها".

ثانيا: ترجمة هذه الكلمات أو تلك من لسان إلى آخر يقتضي النّظر جيّدا في مجموع الكلمات المتقاربة دلاليّا قبل انتقاء ما هو مناسب لها في اللّسان المُترجَم إليه (اللّسان الهدف).

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 180.
2- نفس المرجع السابق ، ص 274.
3- نفس المرجع السابق ، ص 248.

ثالثا: بالنّسبة للكلمات المترادفة Synonymes (مثل: خاف و خشي و هاب) لا وجود للكلمة الواحدة منها إلاّ بجانب الكلمتين الأخريين اللّتين تُرادفانها و تُوجد معهما في اللّحظة ذاتها.و لو افترضنا أنّ كلمة "هاب" أو"خشي" غير موجودة في اللّسان العربّي؛لانتقل مضمونهما الدّلالي إلى "خاف".انطلاقا من هذه الأوضاع ، تبرز الحاجة المُلّحة إلى أن ننظر إلى الكلمة في إطار النّسق الّذي يجمعها بغيرها، و ليس بصفتها كِيانات قائمة الذّات معزولة بعضها عن بعض.[1]

يقول سوسير:" من الوهم اعتبار اللفظ جمعا بين صوت ما و تصوّر معين ، و تحديده بهذه الكيفية يعني عزله عن النّسق الّذي يُشكّل جزءا منه ، و بالاعتقاد بأنّه بالامكان البدء بالوحدات ثم نبني النّسق. و على العكس من ذلك يجب أن ننطلق من الكلّ المتضامن لنحصل على تحليل العناصر الّتي يتضمّنها النّسق".

و مُجمل القول أنّ النّسق مجموعة من العناصر المترابطة فيما بينها . ولا قيمة للعنصر الواحد إلاّ في إطار العلاقات الّتي تجمعه بباقي العناصر الموجودة معه في السّياق نفسه ، الّتي تظلّ محافظة على خصائصها و مميّزاتها ، و تظلّ هي نفسها عند المتكلِّم . غير أن وجودها مع عناصر أخرى هو الّذي يعطيها قيمتها . فارتباط العناصر فيما بينها بهذا الشّكل ،يجعل من اللّسان (صورة و ليس مادة) و المقصود بالصّورة ، في الأدبيات السّوسيرية و البنيويّة ، مختلف العلاقات الّتي تجمع بين الوحدات.

و للتّوضيح أكثر نأخذ المثال التّالي : إذا ما شبّهنا العناصر اللّغويّة بقطع النّقود ، فسنجد أن القطع النّقدية الواحدة لا تمتلك في ذاتها –أيا كانت فئتها – قيمة مطلقة ، و لا يمكن أن يُتصوّر لها أيّ وجود إبرائي و نفعي إلاّ إذا كان لها مقابلها الفعلي ذهبا أو فضة ، أو يوم عمل ، أي ما يمكن أن تُساويه في حياة مُستعملي هذه القطع النّقدية. فما يحدّد قيمة **قطعة/ورقة نقدية** لا يتمثّل في المعدن أو الورق الّذي صُنعت منه هذه العملة ، و إنّما هناك عناصر أخرى أهمّ هي الّتي تُساهم في تحديد قيمة القطعة.[2]

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 249.

2- نفس المرجع السابق ، ص 253.

➢ لسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام

تتضمّن اللّغة بمفهومها العام مظاهر متنافرة يصعب منهجيا تصنيفها و ترتيبها في بوتقة واحدة عامّة ذات خصائص مشتركة .فهناك التّلوينات اللّهجيّة بسجلاّتها المُتنوّعة و التّغييرات التّاريخيّة التطوّريّة الطارئة بفعل الزّمان من جهة ، و من جهة أخرى لدينا إنجازات فردية مُحتملة عن وعي أو دونه . و من الصّعب عزل اللّغة عن مختلف المظاهر المحيطة بها أو المتداخلة معها .

و عليه و للحصول على الموضوع القابل للدّراسة العلميّة الذي هو " اللّسان" يتعيّن أن نختار ضمن الوقائع اللّغويّة المتاحة نقطة معينة صالحة للانطلاق . من هنا جاء عدم الاهتمام بمظاهر "الكلام" المرتبط بالفرد المتكلِّم و الخاص به باعتبارها مظاهر عرضية لا تعرف أي انتظام أو استقرار أو ثبات.

إذا فالبحث في العلاقة بين اللّسان و الكلام نواة العديد من التّأمّلات اللّغوية في العصر الحديث بوصفها علاقة ذات دلالة نظريّة و منهجيّة عامّة ترتبط أساسا بتحديد موضوع اللّسانيّات ، بحيث استطاع دو سوسير أن يجعل منها دعامة تصوّرية و منهجيّة أقام عليها صرح اللّسانيّات الّتي دعا إليها.

ممّا سبقت الإشارة إليه ؛ أصبح من الواضح أنّ " اللّسان " و " الكلام" يفترض أحدهما الآخر ، إذ لا يوجد أحدهما دون الآخر ، لكنّهما في الوقت نفسه يختلفان في السّمات النّوعية المتميّزة ، لذا بات من المُحتمل وجود علمين متميّزين ، أحدهما خاص باللّسان و الآخر خاص بالكلام ؛ أطلق عليهما سوسير تباعا: لسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام . [1]

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 152.

إنّ مهمّة اللّسانيّات في ملاحظة و وصف الوقائع يُحدّده دو سوسير[1] بالعبارات المُنجزة أو المُتلفّظ بها فعلا أي تلك الّتي تنتمي إلى اللّسان ، و ليس إلى الكلام . و من الخطأ منهجيا أن يسعى الدّارس إلى الجمع بينهما تحت باب واحد . بل ينبغي اتباعهما بطريقة منفصلة أو اتباع إحداهما دون الأخرى ، فمعالجة هذين القسمين من اللّغة (اللّسان و الكلام) من وجهة نظر واحدة لن تقدِّم إلاّ حقلا مُبهما .و الكلّ الشّامل الّذي تتشكّل منه اللّغة غير قابل للتّصنيف ، لأنّه ليس وحدة متجانسة.

لهذا فإن تمييز " لسانيّات اللّسان" عن" لسانيّات الكلام " تمييز مجالين مختلفين من حيث طبيعة موضوعهما و طريقة البحث فيهما بحيث:

- **لسانيّات اللّسان :** تتناول الجزء الخاص باللّسان الموجود خارج إرادة الأفراد الّذي هو نتيجة للمواضعة الاجتماعية ، و دراسته دراسة نفسية فقط " psychique" لأنّ الرّبط بين مكونيْه معا أي التصوّر و الصّورة السّمعيّة ربط نفسي.
- **لسانيّات الكلام :** مهمتها دراسة الجانب الفردي في الكلام الّذي يشمل مجال التّصويت ، و هي ذات طبيعة نفسية فيزيائية " psychophyisique" .

توحي الدّراسات و البحوث على أنّ ألبير سيشهاي و شارل بالي كانا وراء فكرة حصر موضوع اللّسانيّات في " اللّسان". مما جعل أنصار اللّسانيّات الخطابيّة و النّصيّة يوجّهون أنتقاداتهم إلى دو سوسير بشأن استبعاد النّشاط الكلامي من دائرة اهتمام اللّسانيّات ، ممّا يجعل المسؤولية الكاملة تقع على عاتقهما في شُيوع هذا الخطأ ، ذلك " أن صفة ثانوي" الّتي أُلصقت بالكلام – في تمايزه عن اللّسان الأساس و الأوّلي – هي من زيادة النّاشرين لم يسمعها أيّ من مستمعيه .[2]

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 153.

2- ميشال أرفيه ، البحث عن فرديناند دي سوسير ، تر، د. محمد خير محمود البقاعي ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2009 ،ط1 ص74

يمكننا الإشارة إلى أن النّاشرين اختارا عبارة " لسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام" عنوانا للباب الرّابع [1]، في كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة غير أنّ مضمون الباب ليس فيه أي حديث عن شيئ اسمه لسانيات الكلام ، كما لا يتضمن الكتاب أيّ إشارة إلى ما سمعه و سجّله أحد تلامذة دو سوسير و هو "إميل قسطنطين" ، و يخلو من أي شكل من أشكال التمييز الصارم بين نوعين من اللّسانيّات : " لسانيّات اللّسان" و " لسانيّات الكلام " . و من ثمّة ، فإنّ التّحفظّات الّتي قُدِّمت بشأن " لسانيّات الكلام " مصدرها النّاشران . [2]

حيث استعمل النّاشران العبارة التّالية : " يمكن بشيئ من التّسامح أن نُطلق اسم اللّسانيّات على كل من هذين المجالين و نتكلّم عن " لسانيّات الكلام " ، و لكن لا يجب أن نَخلطها باللّسانيّات بالمعنى الدّقيق للكلمة ، أي تلك الّتي يكون اللّسان موضوعها الوحيد ".

إذا كلام النّاشرين يَعتبر أن إدراج الدّراسات المتعلقة بالكلام إلى جانب لسانيّات الكلام ضمن اللّسانيّات " نوع من التّسامح" مع تأكيد أنّ اللّسانيّات بالمعنى الدّقيق أو اللّسانيّات الحقيقية هي الّتي يكون موضوعها الوحيد هو اللّسان .

أمّا ما أشارإليه بعض محقّقي المصادر الأصول إلى قول دو سوسير : " يمكننا أن نُميّز"distinguer " بين لسانيّات اللّسان عن لسانيّات الكلام " . [3]

كما كتب قسطنطين في كراساته حول دُروس العام الثّالث ما يلي: " إذا قلنا ذلك [و المقصود اعتماد دراسة اللّسان] ، ينبغي أن لا نختم بالقول إنّه في لسانيّات اللّسان لا يجب البتّة أن نُلقي نظرة على لسانيّات الكلام .(و قد يكون ذلك مفيدا ، لكنّه افتراض من مجال مجاور" . [4]

إنّ المصادر الأصول تكشف عن تدخل النّاشرين و سعيهم إلى استبعاد كلّ ما يتعلّق بالنّشاط اللّغوي عند الفرد المُتكلِّم من دائرة اهتمام اللّسانيّات .

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس – ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 156.
2- نفس المرجع السابق ، ص 154.
3- نفس المرجع السابق ، ص 155.
4- نفس المرجع السابق ، ص 154.

و دوّن طالب آخر مايلي :" يجب أن يكون لدينا لسانيّات لسان و لسانيّات كلام ". حيث نجد في هذه العبارة حديثا عن ضرورة التّفريق بين شيئين " لسانيّات اللّسان " و " لسانيّات الكلام " ، و هو ما يقتضي بالضّرورة وجود مُسبقا لهما بمعنى حقهما معا في الوجود.ممّا يدعم دور النّاشرين و تدخّلهما المباشر في تغيير مقاصد كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة.

و بالاضافة إلى ما يُثبت أنّ دو سوسير كان حريصا على أهمّيّة الكلام في النّشاط اللّغوي عند الفرد المُتكلِّم ، الملحوظة الّتي دوّنها سوسير و هو يُهيّئ دروس العام الثّاني (1908م – 1909 م) وعيه التّام بوجود لسانيّات الكلام إلى جانب لسانيّات اللّسان . أنّه كان ينظر إلى "لسانيّات الكلام " كمجال قائم بذاته إلى جانب " لسانيّات اللّسان".

كما دوّن سوسير مُجمل النُقط الّتي كان عليه أن يتحدث عنها في موضوع الازدواجيّة و من بينها تمييز اللّسان عن الكلام " ختم ملحوظاته قائلا : هنا للمرّة الأولى لسانيّتين " ، [يقصد لسانيّات اللّسان و لسانيّات الكلام] . [1]

وقد كتب سوسير في إحدى قصاصاته : إنّ اللّسانيّات واسعة و بالأخصّ تضمّ قسمين : قسما أقرب إلى اللّسان المستودع السّلبي و قسما أقرب إلى الكلام القوّة الحيّة و المصدر الحقيقي للظّواهر الّتي سنلاحظها لاحقا تقريبا في القسم الآخر من اللّغة". [2]

و يُلّح سوسير في إحدى المقطوعات المنشورة مؤخرا. يقول" لا يُبتكر اللّسان إلاّ لغاية التّخاطب " . [3]

1- مصطفى غلفان، اللغة و اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس –ليبيا،ط1، جانفي 2017،ص 156.
2- نفس المرجع السابق ، 158.
3- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017،ص 213.

المبحث الثّاني :العلامـــــة

العلامـــة اللّغويـّـــة هي وحدة أساسيّة في عمليّة التّواصل بين أفراد مجتمع معين ، و تضمّ جانبين أساسيّين هما الدّال و المدلول.

- **دال** (signifiant) في معجم اللّسانيات ، الدّال في نظريّة العلامة عند سوسير هو الشّكل الملموس المُدرك بالأ ذن (صورة سمعيّة) و يُحيل على تصوّر هو المدلول.فهو إذا صوت أو متوالية من الأصّوات يمكن تمثيلها بشكل ثانوي من خلال رموز الخطّية.الدّال اللّساني هو دائما خطّي ،أي أنّ عناصره تتوالى و لا يمكن أن تتزامن. [1]
- **مدلول** (signifié) هو ذلك المكوّن في العلامة السّوسيرية و الذي يُحيل عليه الدّال.يتعلّق الأمر بتصوّر ، ملخّص عن المفهوم المتضمّن (أو الفهم) لقسم الأشياء الّذي يثيره الدّال.[2]

نستخلص من هذا التّعريف أنّ العلامة عند دي سوسير مُركبة من شيئين دال و مدلول أي وجهيْن لعملة واحدة و هي وحدة ثنائية تتكون من نموذجين (صورة سمعيّة) (مفهوم).

يرى سوسير أنّه عندما نتحدث عن العلامات اللّغويّة ، يتّجه الذّهن مباشرة إلى العلامات البصرية ؛ و بالتّالي نقع في الخطأ المتمثّل في أن تقسيم العلامات إجراء بسيط لا يتطلب أيّ عمليّة فكريّة ؛ بينما واقع الأمر مختلف تماما .

فالعلامة اللّغويّة تتأسّس عل ما يقوم به الذّهن esprit من اقتران association بين شيئين مختلفين هما : صورة سمعيّة image acoustique مرتبطة بتصوّر concept ، لكنّهما معا نفسيان psychique يقعان في ذهن الفرد .

1- جورج مونان ، ترجمة د.جمال الحضري'معجم اللسانيات ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط1 1433ه-2012م ، ص306 .

2- نفس المرجع السابق ، ص405.

و ليست الصّورة السّمعيّة هي الصّوت المادّي ، و إنّما الأثر النّفسي للصّوت . إنّها ليست الصّورة الصّوتيّة المادّيّة الفيزيائيّة و حسب ، و إنّما الانطباع أو الأثر empreinte الّذي تُثيره في أنفسنا هذه الصّورة السّمعيّة.[1]

يرى الدّكتور "مصطفى غلفان" حسب دو سوسير أنّ العلامة اللّغويّة ليست كِيانا بسيطا ، مثلما يوحي بذلك تحديد اللّسان بصفته قائمة من الألفاظ و لكنّها شيء مركب فالعلامة إتّحاد بين تصوّر و صورة سمعيّة ، أو لنقل إنّ العلامة صورة سمعيّة تحمل تصوّرا. و تفاديا لِلّبس الّذي يصاحب التّسميات المتداولة عادة بشأن العلامة اللّغويّة و أطرافها ، اقترح سوسير إبدال المصطلحات القديمة بأخرى أكثر وضوح و دقّة للتّعبير عن تصوّره الجديد عن العلامة اللّغويّة و أطرافها ، فعوّض "الصّورة السّمعيّة" و "التصوّر" أي المفهوم تباعا ، بالدّال signifiant و المدلول signifié .[2] و يجب التّنبيه إلى أنّنا برغم حديثنا عن الدّال و المدلول كما لو كانا عنصرين منفصلين ، فإنهما لا يوجدان إلا بوصفهما مكوّنيْن للعلامة.[3]

- **في موقع العلامة من كتاب المحاضرات**

عندما يتصفّح الباحث كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة يلفي مفهوم العلامة و قد حاز موقعا مقدَّما ، إذ به يفتتح الجزء الأوّل من الكتاب ، فيخصّص الفصل الأوّل منه لطبيعة العلامة اللّسانيّة ، و لهذا الموقع دلالة على تفطّن "شارل بالي" و "ألبير سشهاي" بأهمّيّة مسألة العلامة من فكر دو سوسير، ووعيهما بضرورة تقديمها على سائر المفاهيم الأخرى المتّصلة باللّسانيّات الآنيّة ، من جهة ، و بمسألة اللّسان بوصفه نسقا من العلامات ، من جهة أخرى . لكن الفصل هذا ، مثله كمثل فصول كتاب المحاضرات في اللّسانيات العامّة ، مركب تركيبا يصرف النّظر عن طبيعة تطوّر فكر دو سوسير اللّسانيّاتي و معاودته المستمرة لأفكاره و تصوّراته بالنّقد و المراجعة .

1- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 275 .
2- نفس المرجع السابق ، الصفحة 276 .
3- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة .

و لقد اشتمل الفصل على مباحث ثلاثة هي: العلامة و الدّال و المدلول ، اعتباطية العلامة ، الطّابع الخطّي للدّال .[1]

اجتهد "شارل بالي" و "ألبير سشهاي" ، في هذا الفصل ، في التّوكيد على ثنائية العلامة اللّسانيّة ، و على طبيعتها النّفسية ، و استدلا على هذه الطبيعة النّفسية باللّجوء إلى الكلام الدّاخلي ، ثم ما ينفكان يلجآن إلى مصطلحين جديدين يستعيضان به عن مصطلحي المفهوم و الصّورة الصّوتيّة ، و هما مصطلحي الدّال و المدلول ، بحجة غياب مصطلح آخر يفيد معناه.[2]

حيث افتتح الناشران هذا الفصل بالاجتهاد في ردّ التّصوّر التّقليدي للّسان ، بوصفه مدوّنة من أسماء وضعت للإحالة إلى أشياء ، فكتبا يقولان "يعتقد البعض أن اللّسان ، إذا ما رُدّ إلى مبدئه الأوّل ، يُعدّ مدوّنة ، أي أنّه مجموعة من العبارات الّتي تقابلها مجموعة من الأشياء .

هذا التّصوّر بات يثير جملة من الانتقادات من مناحي عديدة ، فهو يفترض أفكارا مستوفاة سابقة في وجودها على الكلمات ، و لا يخبرنا ما إذا كانت طبيعة الإسم صوتيّة أم نفسيّة ، لأنّ كلمة « arbor » (شجرة) قد يُنظر إليه من هذا المنظر أو ذاك ، كما أنّه يوحي بأنّ العلاقة الّتي تربط الإسم بالشيء تُعدّ مجرّد عمليّة بسيطة ، و هو تصوّر مناف للحقيقة لكنّهما يستخلصان من هذا التّصوّر ، على الرّغم من سذاجته ، مسألة مهمّة ترتبط بطبيعة الوحدة (أو العلامة) اللّسانيّة ، و هي طبيعة مزدوجة ، فيردفان قائلين " لكن التّصوّر السّاذج هذا قد يُقرّبنا من الحقيقة ، فهو يطلعنا بأنّ الوحدة اللّسانيّة مزدوجة ، مؤلفة باقتران عنصرين و لقد كنا في حديثنا عن دورة الكلام أشرنا إلى أن العنصرين اللّذين تقتضيهما العلامة اللّسانيّة عنصرين نفسيّين ، متّصلين في الذّهن عن طريق عمليّة الربط"، لينتهيان إلى التّوكيد على أنّ العلامة اللّسانيّة ليست على نحو ما يعتقد...[3]

1- فيرديناند دو سوسير ، في جوهري اللغة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن نديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافة – ناشرون ، ط1 2019 ، ص 106.

2- نفس المرجع السابق، ص 108.

3- نفس المرجع السابق ، ص 107.

و إنّما هي مفهوم و صورة صوتيّة (تصوّر ذهني - صورة أكوستيكيّة) أي دّال و مدلول و ليست شيء أو اسم .

مفهوم العلامة اللّغويّة عند "شارل بالي" و "البير سيشهاي " من خلال الدّروس لا تجمع بين شيء و اسم بل بين تصوّر ذهني و صورة أكوستيكيّة و ليست الصّورة الأكوستيكيّة هي الصّوت المادّي أي ذلك الأمر الفزيائي المحض بل هي الأثر النّفسي لهذا الصّوت أي الصّورة الّتي تصوّرها لنا حواسنا ، و هي صّورة حسّيّة ... و للمقابلة بينهـــا و بين الطرف الآخر من عمليّة التّرابط أي التّصوّرالذّهني ، و هو غالبا ما يكون أبعد في التّجريد.[1]

فالعلامة اللّغوية اذن كِيان نفسي ذو وجهين يمكن تمثيله بالشّكل التّالي: [2]

شكل (1) يوضّح العلامة اللّغويّة

1- فرديناند دي سوسير ، تعريب صالح القرمادي محمد الشاوش – محمد عجينة ، دروس في الألسنية العامة ، الدار العربية للكتاب ، ط1 1985 ، ص110.

2- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

لم ينج مفهوم العلامة من الخلل ، شأنه شأن كثير من المفاهيم الّتي روّج لها كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوبة إلى دو سوسير ، و مردّ هذا الخلل في نظر فرانسوا راستيي إلى الاختزال الّذي مارسه شال بالي وألبير سشهاي ، فقد قدّما العلامة على أنها كِيان مستقل عن باقي العلامات المجاورة ، سواء أكانت المجاورة خطيّة أو استبداليّة و على أنّها مكوّنة من دّال و مدلول ، لكلّ منها الاستقلال الذّاتي ... ولئن أبنا إلى كتاب المحاضرات و رُمنا التّعرف على التّصوّر الّذي يروّجه عن العلامة اللّسانيّة لألفيناه يُسند إليها مبدأين رئيسيّين هما مبدأ اعتباطية « arbitraire » العلامة اللّسانيّة و خطيّة « linéarité » الدّال ، و هما مبدأين لا يخلوان من ضبابية. [1]

و على الرّغم من اجتهادهما في الوفاء لتصوّر دو سوسير عن العلامة ، فإنّ كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة الّذي وضعاه يختزله اختزالا شنيعا ، إذ فضلا عن تصوّرهما العلامة مستقلة عن باقي العلامات المجاورة لها ،و تجريدها عن وجودها الخطّابي ، جرّداها من ميزة ثانية تكاد تكون جوهرية ، هي خاصيّة تبليغها. « transmission»...[2]

و لئن كان تحوّل العلامة عبر الزّمن و انتقالها من جيل إلى جيل آخر تُعدّ خصيصة كامنة فيها ، غير منضافة فيها ، لا نجد لها حضورا في كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة المنسوبة إلى دو سوسير ، فإن الكتاب ذاته لم يعبّر فضلا عن ذلك تعبيرا صادقا عن طبيعة العلامة اللّسانيّة و لا عن المفاهيم المتّصلة بها.

هذا ما أدى إلى توجّه جملة من الانتقادات إلى تفكير دو سوسير ، لا سيما فيما تعلق بمبدأي الاعتباطية و خطيّة الدّال.

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل للسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017، ص 181.

2- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة .

لقد أخفق شارل بالي و" ألبير سيشهاي" في إيراد جميع الخصائص المكوّنة لمفهوم العلامة كما لم ينتبها إلى التّعدّد الدّلالي الّتي اكتنفه ، فلقد تبيّن" لسيمون بوكي " ، بما توفّر له مخطوطات دو سوسير ، أنّه كان يستعمل مصطلح العلامة دالا تارة على الوحدة القائمة بين المفهوم و الصّورة الصّوتيّة ، و تارة أخرى يقتصر مدلوله على الصّورة السّمعيّة ، image acoustique. [1]

قال" بيير فرات" pierre frath "أتعجّب من أنّ كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة حجب النّصوص الأصلية لسوسير ، سواء تلك التي نُشرت خلال حياته أو بعد وفاته. و الغريب أن سمعة سوسير بُنيت على أساس كتاب ليس من تأليفه ، كتاب ما كان ليوافق هو عليه". [2]

نستخلص مما سبق أن المؤلِفيْن لكتاب المحاضرات لم يعطوه حقّه الكافي و اختزال مسائل مثل العلامة و علاقتها بالمعنى و الدّلالة. كما نستنتج أنّ العلامة اللّسانية فيهـــا لُبس و من هذا المنطلق نطرح السؤال التّالي هل العلاقة بين الدّال و المدلول علاقة اعتباطيــة ؟ ، حيث سنتطرق لهذا المفهوم – الاعتباطية – فيما بعد بشيئ من التفصيل .

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ سوسير في نهاية دروس العام الثّالث (حصة 19 مايو 1911) قبل أن يقترح الزّوج المصطلحي الشّهير signifiant/ " الدّال " و signifiè/ " المدلول؛ [1] أشار في (حصة 2 مايو 1911) مجددا إلى الصّعوبات الاصطلاحيّة الّتي تفرض نفسها على المُشتغل باللّسانيّات في ظلّ استمرار الغموض الملازم للفظ العلامة . و يُقرّ سوسير أنّه عجز عن الوصول إلى المصطلحات المناسبة للدّلالة عن مفهوم العلامـة و مكوّناتها.

1- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 182 .
2- مروق محمد ، من كتاب محاضرات في اللسانيات العامة إلى السوسيرية الراهنة، مجلة الاداب و العلوم الانسانية ، المجلد 17/العدد:1،2023، ص ، 39.
3- مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 327 .

يقول سوسير : إنّ القضيّة الّتي لم نتمكن من حلّها و الحسم فيها تتمثّل في الاتّفاق على النقطة التّالية : هل نسمّي الكلّ " علامة " ؛ أي التّوليف بين المفهوم و الصّورة السّمعيّة أم إنّ الصّورة السّمعيّة نفسها يمكن تسميتها أيضا بعلامة . يجب أن نتوفر على كلمتين مختلفتين". [1]

لكنّ هذا الحرص المصطلحي من طرف سوسير لا يوجد له أيّ أثر في طبعة 1916 ، ممّا زاد في حدّة التباس وغموض اعتباطية العلامة عند سوسيرخاصّة تعميم النّاشرين استعمال المصطلحات الثّلاثة : "دّال" و "مدّلول" و "علامة " دون مراعاة لِلبس لفظ "العلامة " و دلالته المزدوجة .

و جراء هذا اللبس تمخّض عنه فهما غير دقيق لاعتباطية العلامة ، و ذلك حين ربطا الاعتباطية بالعلامة اللّغوية ككل ، أي باعتبار أنّها تتألف من دّال و مدلول .

بينما كان سوسير حسب المصادر الأصول يقصد " اعتباطية الدّال " في علاقته بالمدلول ؛ أي إن الدّال لا يرتبط بأي صلة بالمدلول ، فما سماه النّاشران " اعتباطية العلامة " كان ينبغي أن يُطلق عليه " اعتباطية الدّال" . [2]

كذلك من مظاهر الخلط في صنيع النّاشرين استعانتهما برسم توضيحي للاتحاد بين الدّال و المدلول . و يتضمن الرّسم صورة مجسّدة للشّجرة كطرف في العلامة كما يوضّحه الشّكل رقم (2) في الصفحة الموالية.

1- مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 328 .

2- نفس المرجع السابق ، ص 330.

الشّكل رقم (2) : يمثل رسم توضيحي للاتّحاد بين الدّال و المدلول و صورة مجسّدة للشجرة كطرف في العلامة

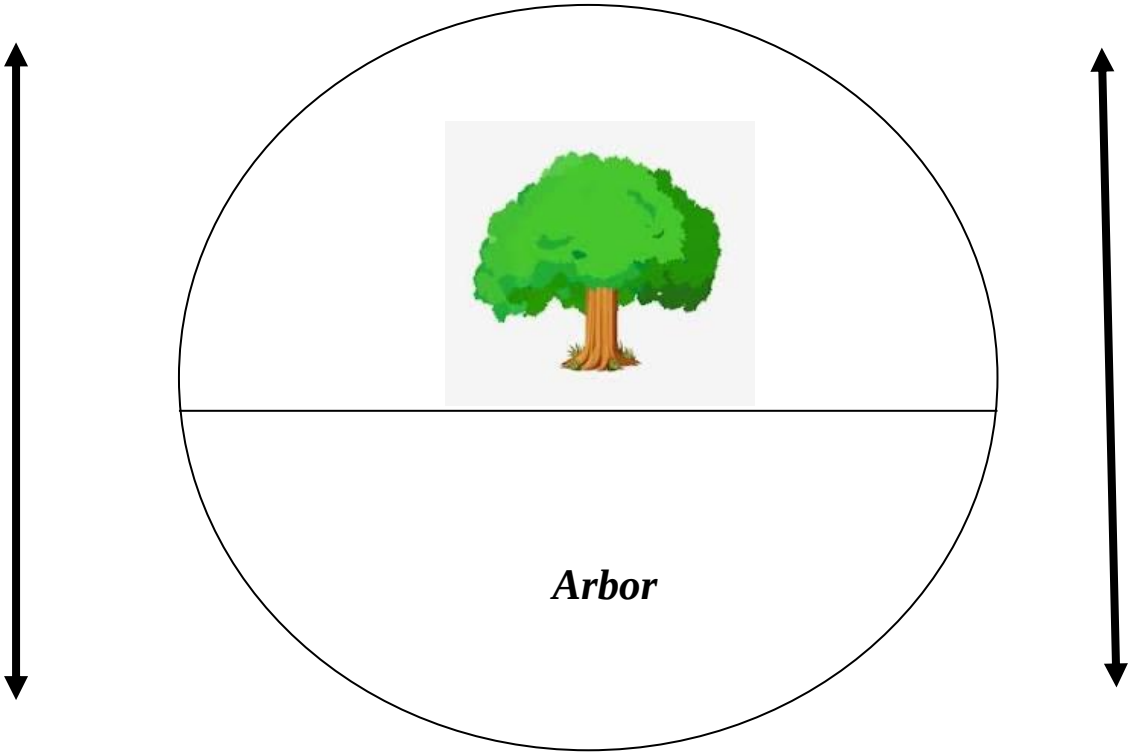

- يُمثل في الجزء الأعلى للمدلول signifié .
- يُمثل في الجزء الأسفل للدّال signifiant .
- يُحدّد الشّكل الدّائري العلامة.
- السّهمان يشيران إلى أنّ وجهي العلامة أي الدّال و المدلول غير قابلين للانفصال indissolules. .

ملاحظة : التّعبير عن الدّال برسم الشّيئ الّذي يحيل عليه أي "الشّجرة" في الشّكل رقم (2) ، إقحام من النّاشرين للشّيئ الموجود في العالم الخارجي ليس له ما يُبرّره.

4- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 332 .

- **في موقع العلامة من كتابات دو سوسير الجديدة**

لقد أشار كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة في بعض مواطنه إلى المستويين التّركيبي و الاستبدالي ، بيد أنّ المخطوطات الّتي عُثر عليها تستخدم تمييزا آخر . لقد ميّز سوسير بين الكلام الفعلي ، الموجود حقيقة " effective " و الكلام الكامن ' potentielle " أما الكلام الفعلي فهو كلّ تركيب 'syntagme' ناجم عن تواجد عدد من العناصر ضمن جزء من الكلام ، و أمّا ما هو كامن من الكلام فهو مجموعة العناصر المُدركة من قبـل العقل و مرتبطة فيما بينها. [1]

يبـرز تفكيـردوسوسير حول العلامة اللّسانيّة ، والعلامة بوجه عام ، في النّصوص الجديدة مستندا إلى تصوّر أصيل ومصطلحات غير تلك الّتي أَلِفها الباحثين عن كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة الّذي ألّفه شارل بالي و ألبر سشهاي . ولعلّ أهمّ الخصائص الّتي اتّصف بها هذا التفكير و اختلافه الجذري عمّا ألفناه من كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة انتشال العلامــة من العُزلة الّتي و سِمته في كتاب المحاضـرات ، إذ بينما تبرز العلامة في كتاب المحاضرات هذا معزولة عن علاقاتها مع العلامات الأخرى ، واكتفائه بوصفها كلاً مكوناً من دّال و مدلول ، تجتهد كتابات دوسوسيـرالجديدة ، في التّوكيد على هذه العلاقات الّتي تنعقد بين العلامات ، بل التّوكيد على عدم أسبقية العلامات على هذه العلاقات ، على نحو ما تُبرزه الفقرة الآتية ؛ إذ يقول دو سوسير"ليس ثمّة في اللّسان لا المدلولات ، ولا الدّلالات ، و إنّما ثمة اختلافات قائمة بين المدلولات و اختلافات قائمة بين الدّلالات ، و الّتي 1) لا وجود لإحداهن إلاّ نسبة لوجود الأخريات (في كلا الاتجاهين) . وهي ؛ أي هذه الاختلافات ، متلازمة متضافرة، و لكن 2) دون أن تتطابق مباشرة . [2]

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017، ص 180.

2- فيرديناند دو سوسير ، في جوهري اللغة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن نديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافة – ناشرون ، ط1 2019 ، ص 117.

ومنه يمكننا الاستنتاج مباشرة : أنّ الكلّ ، و في كلا الميدانين (المتلازمين) ، سالب في اللّسان ولا يستند إلاّ إلى تقابل مركّب ، ولا شيء سواها ، دون تدخّل ضروري لأيّ جنس مُعطى موجب .[1]

لقد استطاع "يمسليف L.Hjlemeslev" أن يتجنّب كثيرا من المزالق الّتي سحبت عددا من الباحثين المُحدَثين خارج دائرة فكر دو سوسير الأصليّة ، و على الرّغم من استناده إلى كتاب المحاضرات في اللّسانيات العامّة إلاّ أنّه أحسن التّعبير عن عدم التّلازم بين مستويي التّعبير و المحتوى .على نحو ما يُبرزه نصّ دو سوسير السّابق .[2]

قال فرانسوا راستي F.Rastier في هذا الشّأن : " إن لِمبدأ عدم التّلازم بين مستويي اللّغة الّذي أقرّ به دو سوسير و عبّر عنه يمسليف تعبيرا سديدا ، نتائج مهمّة ، إذ لم يعد يُقرّ بالتّطابق ، أو بالقياس ، بين وجهي العلامة ..."

"...ويقود مبدأ المخالفة هذا إلى عدم الاعتراف بوجود العلامات معزولة سابقة على العلاقات الّتي تقيمها فيما بينها ، إنّ العلامة ، من هذا المنظور ، ليست سوى مرتبة مؤقتة من مراتب التّأويل ، و مرحلة من مراحل البرنامج التّأويلي الّتي نجتاز بها من مدلول إلى آخر.[3]

يمكننا مما سبق ذكره استخلاص مايلي : لقد وُجِّهت عدّة انتقادات صريحة من طرف فرديناند دو سوسير و كثير من اللّغويين المُحدَثين من بعده مثل "مارتيني A.Martinet " و "يمسليف L.Hjlemeslev" إلى التّصوّر الّذي يجعل من اللّسان قائمة من الكلمات تقابل مجموعة من الأشياء ليس إلاّ ، فيحجب حقيقة اللّسان بوصفه نسقا من العلامات و طبيعة هذه الأخيرة الاعتباطية ، لأنّ العلامة اللّسانيّة لا تربط بين شيئ و إسم بل بين مفهوم و صورة أكوستيكية ، بين دّال و مدلول ، لا علاقة معلّلة بينهما كما قال بنفنست .

1- فيرديناند دو سوسير ، في جوهري اللغة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن نديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافة – ناشرون ، ط1 2019 ، ص 117.

2- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

3- نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة.

ولو نظرنا إلى سلسلة الأصوات الّتي يُصدرها الإنسان بغضّ النّظر عن دلالتها لوجدناها مادة لا يمكن تجزئتها . و لو فحصنا أفكارنا دون التّعبير عنها بسلسلة من الأصوات لوجدناها هي الأخرى مادة لا يمكن تمفصلها ؛ إذا فالدّور الذي تضطلع به الألسُن البشرية إزاء الفكر لا يكمُن في إنشاء وسيلة صوتيّة ماديّة للتّعبير عن الأفكار ، و إنّما لتكون بمثابة وسيط بين الفكر و الصّوت ، بحيث يؤدّي اتحادّهما بالضّرورة إلى تحديدات لوحدات في كليهما ، و لا تنتج هذه التّحديدات مادّة ثّالثة ، وإنّما تُنتج شكلا ، و هو الشّكل اللّساني . فاللّسان إذن شكل و وِحدة بين تعبير و محتوى . [1]

و لا يقتصر تصوّر دو سوسير الأصيل هذا على طبيعة العلامة على نحو ما جئنا على وصفها ، بل يتعداه إلى مجال آخر من مجالات الفكر الإنساني ، و نعني به مجالات التّأويليّات و تفسير النّصوص ، إذ إنّ اعتبار العلامة لحظة من لحظات التّأويل يؤدّي إلى التّوكيد على أوّلية الكُلِّي (النّص) على المحلّي (العلامة) " إنّ المبدأ التّأويلي العام هذا يتحدّد في مجال الفيلولوجيّات أي قراءة النّصوص قراءة تفسيريّة على النحو الآتي " إنّ التّعرف على العلامة لا يتمّ إلاّ في أثناء القراءة ، و إنّ القراءة تُحدث تغييرا في النّص" . و لقد باتت أوّليّة الكُلِّي على المحلِّي إحدى المبادئ الّتي استند إليها سيمون بوكي و هو يؤسّس لقرائته لكتابات دوسوسر الجديدة الموسومة بالسانيّات التّأويل ، و هي جملة من المبادئ الّتي أسّس بها الابستيمولوجيّات السّوسيرية الجديدة.[2] بحيث مرت المخطوطات الجديدة في الفكر السّوسيري في اللّسانيّات الحديثة بثلاثة حقول كما تطرّقنا إليها في الفصل الأوّل .

كما أنّه من الوهم إذن المقابلة بين العلامة و الدّلالة ، فهما شكلان لمفهوم واحد في الذّهن و لا وجود للدّلالة من دون العلامة ، كما إنّ الدّلالة ليست سوى التّجربة العكسيّة للعلامة ، مثلما لا يمكننا قص أحد وجهي الورقة دون قص الوجه الآخر[3].

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017، ص 117.

2- فيرديناند دو سوسير ، في جوهري اللغة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن نديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافة – ناشرون ، ط1 2019 ، ص 118.

3- فيرديناند دو سوسير ، نصوصٌ في اللِّسانيّات العامّة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن نديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافة – ناشرون ، ط1 2021 ، ص 180.

- **اعتباطيـــة العلامة:**

تُعدّ اعتباطية العلامة من بين المسائل الّتي وردت في السّنة الجامعيّة الثّالثـــة (1910 - 1911) تحت عنوان اعتباطية العلامة .

تخضع العلامة اللّغويّة لمبدأين أساسيين يُعدان بمثابة حقيقتين أساسيتيـــــــــن هما ؛ الاعتباطية و الخطّية .

تتمثل الحقيقة الأولى في أن الدّال ليس مرتبطا بالمدلول بأيّ علّة مهما كان نوعها أو أيّ سبب مهما كانت طبيعته ، و بالتالي لا شيئ يفرض علينا أن نربط هذا الدّال بذاك المدلول . ومن هنا نعي بأنّ الرّابط الّذي يجمع بين الدّال و المدلول اعتباطـــــي.

و للتوضيح أكثر نأخذ المثال التّالي : نأخذ العلامة اللغوية (**كتـــــــاب**).

إنّ **الـــــدّال** هو المتتاليـــــــة الصّوتيـّـة ، إذا يكون الدّال إما منطوقـا و إما مكتوبا حرفيا.

أما **المـــدلول** فهو مجموع السّمات الدّلالية المرتبطة بالدال (**كتابُن**) ، كأن نقول إن سيماته المدلوليّة المجرّدة هي : مُؤلَّف + عنوان + عدد الصّفحات + صفحات مطبوعة + محتوى فكري .

اذا لا علاقة بين الوحدات الصّوتيّة : /ك / + /الكسرة/ + /ت/ + /الفتحة / + /ا/ + / الفتحة / + /ب/ + التنوين ، و الوحدات المدلوليّة أو التّصوّريّة . فلا تقابل الكاف في العلامة (كتاب) الوحدة المعنوية (مؤلّف) ، و لا تقابل (التاء) السّمة المدلوليّة (عنوان) ، و لم تُوضع (الباء) للدّلالة على الوحدة التّصوّريّة (عدد الصفحات) و هكذا ... [1]

1- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 277 .

و تتجلّى الاعتباطية بين العلامة (باعتبارها دّالا و مدلولا) و المدلول عليه (أي الشيئ الموجود في العالم الخارجي) ، في غياب أي رابط بين ما هو صوتي و ما هو معنوي و ما هو مجسّد فعليا . ليس بين العلامة و المدلول عليه في العالم الخارجي أي علاقة محاكاة تجعلنا نُطلق هذه العلامة على هذا الشيئ و ليس على شيئ آخر .

إنّ اختلاف الألسُن في تسمية الشيئ الواحد دليل مادّي ملموس على صحّة غياب العلاقة بين العلامة و الشيئ ، بحيث تقوم تسمية الأشياء و هي عمليّة ذهنيّة على إدراك أشياء العالم الخارجي و تصوّراته الّتي لا يحصل إدراكها من النّاحيّة اللّغويّة بالطّريقة نفسها عند جميع البشر ، و يرجع ذلك إلى تعدّد التّصوّرات نتيجة اختلاف البنيات الدّلالية و التّركيبيّة بين الألسن من جهة ، و إلى الاختلافات الثّقافيّة في تصوّر الأشياء و المفاهيم بين الألسن من جهة أخرى. [1]

يمكن أن نُنوّه إلى أنّه غالبا ما يتمّ الخلط بين " الاعتباطية " و" المواضعة "Convention" لمجرّد أنّهما يشتركان في القول بأنّ العلاقة بين العلامات و ما تدلّ عليه من أشياء أو في علاقتها بالأشياء المسمّاة ليست طبيعيّة ، و أنّها نتيجة اصطلاح بين أفراد المجموعة المتكلِّمة باللّسان . بحيث لا يتوافق هذا المعنى السّطحي لاعتباطية العلامة مع ما قصده سوسير ليس فقط حين حصر الاعتباطية في الرّبط بين الدّال و المدلول ، و إنّما أيضا في الأبعاد و الأدوار الّتي تقوم به الاعتباطية داخل النّسق التّصوّري برُمّته . [2]

فإذا كانت صفة الاعتباطية ترتبط باللّسان كنسق من القيّم Système de valeurs ، فإنّ صفة المواضعة ترتبط بالطّابع الاجتماعي للّسان و بالتّالي بالعلامات الّتي يتشكّل منها، ويبدو أن سوسير اتّخذ من الاعتباطية إطارا تصوّريا عاما لتجاوز نظريّة المواضعة ،

1- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 278 .

2- نفس المرجع السابق ، ص 304.

حيث أشار " دو ماورو De Mauro " إلى : " ... ما كان سوسير يسعى إلى تجاوزه ، هو بالتّحديد طابع " المُواضعاتية Conventionnalisme " الّذي يسِم المؤسسة اللّغويّة و يجعلها خاضعة لإرادة أولائك الّذين يضعونها " [1]

و نحن نعرف أن اللّسان عند سوسير خارج إرادة الأفراد المتكلِّمين به ، فهم يتلقونه سلبيا ، و لا يمتلكون أي قدرة على التّدخل فيه أو تغييره.

يرتبط مفهوم العلامة اللّغويّة و اعتباطيتها بتعيين الوحدات اللّغويّة التي من دونها لا يمكن الحديث عن أي تحليل لساني ، فما يخلق اللّسان ليس موجة متتالية من الأصوات ، و إنّما سلسلة الأصوات التي هي كلمات معيّنة بالضّبط . و لا يتأتّى الحصول على الوحدات اللّغويّة موضوع اللّسانيّات بالاقتصار على الصّورة السّمعيّة وحدها أو التّصوّر وحده ، و إنّما يقتضي ذلك اقتران الدّال بالمدلول. [2]

إنّ الكِيانات اللّغويّة لا تصير أشياء أو وحدات ملموسة إلاّ عندما تصبح علامات. فالمطابقة identité و الوحدة unité و التّعيين détermination يقتضي بعضها البعض. فعندما نتحدث عن مطابقة عنصر معيّن يعني **الحديث عن وحدة لغويّة** ، و عندما يتمّ إجراء التّعيين ، يحق لنا أن ننتقل من الحديث عن الكِيان entité إلى **الحديث عن الوحدة اللّغويّة** ، إذ لكي يصبح الكِيان وحدة يجب أن يكون محددا دلاليا. لكن الدّلالة ليست مُطلقة ، و إنّما تقوم على القيمة. [3]

و لمّا كان تحديد العلامات اللّغويّة يتطلّب الوقوف على مختلف العلاقات التي تجمع بينها ، فإنّ مفهوم العلامة و اعتباطيتها يتطلّب فكرة النّسق في ارتباط وثيق مع مفهوم القيمة، و لو لم تكن القيمة هي التي تحدّد معنى الوحدات ، لوجب أن ننظر إلى اللّسان بوصفه مجرّد ثبْت تُعلّق فيه الأسماء على الأشياء .

1- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 304 .

2- نفس المرجع السابق ، ص.305 .

3- نفس المرجع السابق ، ص.306 .

بمعنى أنّه لو صحّ أنّ لسانا ما يكمن فقط في تسمية الأشياء ، فإنّ مختلف ألفاظ هذا اللّسان لن يكون بينها أي علاقة لتظلّ مثل الأشياء ذاتِها معزولة بعضها عن بعض. [1]

يعتبر سوسير التّصوّر الّذي يرى في اللّسان قائمة من الأسماء الّتي ترتبط بأشياء تصوّرا بسيطا لا يُجسّد طبيعة اللّسان الحقيقية لعدّة أسباب منها : [2]

* إنّه تصوّر يفترض وجود أشياء ماديّة أو أفكار مجرّدة قبليّة سابقة في وجودها على الكلمات بمعنى أنّ الفكر يسبق اللّغة و يُوجد مستقلا عنها .

* إنّ اللّسان لا يتكوّن من أسماء فقط ؛ بل نجد في كلّ الألسُن ، مقولات أخرى مثل الفعل و الحرف و باقي الأدوات ، إذ لها الدّور نفسه و الوظيفة ذاتها.

* اختلاف إدراك أشياء العالم الخارجي اختلاف يتفاوت من لسان إلى آخر ، فمثلا يتوفّر اللّسان الفرنسي على علامتين " viande " و " chair " . تدلّ الأولى على "اللّحم" كمادة تُطهى أو تُشوى و صالحة للأكل و التّغذية ، بينما تدلّ الثّانية على "لحم البشر" . أمّا اللّسان العربي فلا يمتلك إلا علامة واحدة (كلمة) للدّلالة على تصوّر "اللّحم " بصفة عامّة سواء اكان بشريا أم حيوانيا.

إنّ سوسير لم يتطرّق لمفهوم القيمة اللّسانيّة إلاّ عندما تكلّم عن الصّفة التّمييزيّة لها ، ذلك أن العلامة تحمل دلالة لأنّها تتميّز عن بقيّة الرّموز اللّغويّة الأخرى .

مثال توضيحي للفكرة لسوسير : الّذي يتمثّل في القطعة النّقدية ؛ الّتي يمكن استبدالها بحاجات شرائية أو بقطع نقدية من الطبيعة و المادة نفسها ، و الأمر ذاته بالنّسبة للعلامة اللّغوية ، إذ يمكن استبدالها بفكرة أي بما تدلّ عليه من عناصر من طبيعة مختلفة أو بعلامة لغويّة أخرى من الطبيعة نفسها . [3]

1- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 307 .

2- نفس المرجع السابق ، ص 271 .

3- حسني خاليد ، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة ، مطبعة آنفو – برانت ، سبتمبر 2018 ، ص 30 .

لقد نال مفهوم الاعتباطية اهتمام كثير من اللّغويين المحدَثين منذ أن أعاد "بنفنست" النّظر فيه في مقاله المشهور " طبيعة العلامة اللّسانيّة " سنة 1939م، حيث خلص إلى تقرير أنّ مبدأ الاعتباطية بأنّه تفكير يشوبه عدم التّجانس لعدم التحام المفاهيم الّتي يستدعيها قصد التّعبير عنه ، و يقضي به إلى التّناقض.

وفي إطار النّصوص المحقّقة لجأ سيمون بوكي إلى إحصاء كلّ الفقرات الّتي تتّصل بمسألة الاعتباطية و مقارنتها بمخطوطات دو سوسير الأصليّة ، وخلص إلى القول بأنّ السّبب الأوّل لهذا الإخفاق يعود بالدّرجة الأولى إلى عدم تنبّه شارل بالي و البير سيشهاي ، إلى التّعدّد الدّلالي لمفهوم العلامة ، في فكر دو سوسير. فمفهوم العلامة عند سوسير يكتسي دلالتين مختلفتين ، فهو يدلّ تارة على الوحدة القائمة بين المفهوم و الصّورة السّمعيّة ، و تارة أخرى يُراد بها الصّورة السّمعيّة غير مقترنة بالمفهوم الّذي تّعبر عنه. [1]

لقد أطلق "إيريك بويسنز E.Buyssens " سنة 1940 ، سهام نقوده على كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة لدوسوسير بإصدار مقال ؛ بعنوان " توضيح بشأن مفاهيم رئيسة في الفونولوجيّات" ، بحيث يحوي جانبا معتبرا من مضمونه نقدا ضدّ لسانيّات دو سوسير ، تمثّل في عنوان فرعي استهل به مقاله و هو " سوسير ضدّ سوسير". [2] و في نفس هذه السّنة -1940- اجتمع كل من شارل بالي ، و ألبير سيشهاي ، و هنري فراي H.Frei ، في مقال واحد ، قصد التّصريح عن موقف موحّد بشأن طبيعة العلامة اللّسانيّة الاعتباطية ، من أجل ردّ الاعتبار للفكر السّوسيري . حيث جاء فيه: " إنّنا لن نعاود النّظر في النّقد الّذي وجّهه بنفنست E.Benveniste ، في بداية عرضه ، إلى عدد من التّعريفات للعلامة اللّسانيّة الّتي نجدها في كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة (وخصوصا الصفحات 102-104 من الطبعة الأولى)،

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل الى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017، ص 186.

2- فيرديناند دو سوسير ، نصوص في اللسانيات العامة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن نديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافة – ناشرون ، ط1 2021 ، ص 117.

فهذه التّعريفات ليست جيّدة ، نتيجة الظّروف الّتي أحاطت بنشر الكتاب ، و هي تعريفات يمكن الاستعاضة عنها بتعريفات جيّدة ، من مواطن أخري من الكتاب ، و هي الّتي تُعين على تفسيرها ". [1]هذا التّصريح أقرّته لجنة جمعية جنيف اللّسانية ، في السابع من شهر جوان 1940.ويُعدّ هذا التّصريح المنفذ الذي نفذ منه "ايريك بوينسنز" في التشّكيك في صحّة انتساب كتاب محاضرات في اللّسانيات العامّة إلى دو سوسير ، بحيث يقرّ محرّروه بوجود خلل في عدد من التّعريفات .

- **خطّية الدّال:**

تُعدّ الخطّية المبدأ الثّاني الّذي يحكم العلامة اللّغويّة بعد مبدأ الاعتباطية ، فهو الحقيقة الأوّلية الثّانية كما سماها سوسير. ويرى سوسر أن اللّسانيين لم ينتبهوا إلى أهمّية صفة الخطّية بالرّغم من دورها المحوري و قيمتها في انتظام اللّسان ، بحيث يرجع سبب هذا النقص و القصور إلى المؤلّفات الفونولوجيّة التي كانت تكتفي برصد جانب المخارج (الفمّ و الحنجرة) ، أي بالأصوات المعزولة . [2] و لما كان الدّال ذا حمولة صوتيّة أو له جانب سمعي acoustique فهو يمثّل امتدادا étendue يكون هذا الامتداد قابلا للقياس في بُعد واحد فقط ، هو البُعد الخطي linéaire الّذي يسمح بإدراك مباشر و تلقائي لسمته الزّمنية .

فالسّمة الأساسّية للمادة الصّوتية أنّها تتقدّم إلينا كسلسلة كلام ، و هو ما يترتّب عليه مباشرة الطّابع الزّمني الّذي ليس له إلاّ بُعد واحد يمكن أن نسميه بالبُعد الخطّي. أي إن العناصر السّمعية تظهر الواحدة بعد الأخرى كخط مُتتابع مؤلِّفة بذلك سلسلة.

فبالنّسبة للعلامة ؛ تنجم عن مبدأ الخطّية اجراءات تطبيقيّة بالغة الأهمّية أبرزها أنّه " لا يمكن أن نتلفّظ بعنصريْن في وقت واحد ". أيْ ؛ في الموقع الواحد داخل سلسلة الكلام لا يمكن أن نحصل إلاّ على وِحدة واحدة . [3]

1- فيرديناند دو سوسير ، نصوص في اللسانيات العامة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن نديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافة – ناشرون ، ط1 2021 ، ص 120.

2- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 281 .

3- نفس المرجع السابق ، ص 282

يكتسي مبدأ الخطّية أهمية بالغة في التحليل اللغوي أهمّها ؛ أن الكلمات تخضع في مستوى الكلام إلى العلاقات القائمة على التسلسل أو ما يُعرف بالعلاقات السّياقية relation syntagmatiques ، بحيث لا يمكننا في سلسلة الكلام أن نحصل على أيّ مركّب إلاّ عن طريق التّتابع الخطّي لوحداته. [1]

و المركّب هنا هو توليف بين وحدتين أو أكثر يتّبع أحدهما الآخر أو عدّة وحدات متتالية لها علاقة فيما بينها أو لها علاقة بالكُلّ .

انتقد رومان ياكبسن Roman Jakoson مبدأ الخطّية ، لأنّه حسب تصوّره مبدأ غير سليم لأنّه يتنافى مع طبيعة الوحدات الصّوتيّة ؛ الّتي تُعتبر وحدات مركّبة من سمات مميّزة . و يؤكّد بأنّ سوسير كان قريبا جدا من التّوصّل إلى المبدأ العام في التّحليل الصّوتي أي السّمات المميّزة حين ذكر أنّ الوحدات الصّوتيّة تتألّف من عناصر اختلافية إلاّ أنّه لم يكن بإمكانه أن يذهب إلى أبعد ممّا ذهب إليه لأنّ مبدأ خطّية الدّال وقف سدّا أمامه.

يمكن الإشارة إلى أنّه بالرّغم من فهم سوسير للعلاقة الدّاخليّة بين خطّي اللّغة – محور 'التّزامن ' و محور ' التّتابع ' و الّتي فيها إشارة تنبّؤيّة إلى وجود عناصر تباينّية تتكوّن منها الوحدة الصّوتيّة phonème إلاّ أنّه لم يتوسّع فيها . [2]

و لو عدنا إلى التّصفّح المتأنّي لمخطوطات سوسير و بالرّغم من توارد ذكره في بعض كراسات الطّلبة الّتي استند إليها شارل بالي و ألبير سيشهاي في صياغة كتاب المحاضرات ، لكنّ المفهوم لم يرتبط قطّ في كراسات الطّلبة بالدّال ، بل برز في أسّيقة أخرى ، و منها السّياق الّذي تحدّث فيه سوسير عن التّركيبات ، في أثناء دروس السّنة الجامعيّة الأولى. [3]

1- .مصطفى غلفان ، اللغة اللسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتحدة 2017 ، ط1 كانون الثاني/يناير 2017 ، ص 283 .

2- نفس المرجع السابق ، ص 284 .

3- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللسانيات ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط1،2017، ص 187.

خاتمة

الحمد لله حمدا كثيرا على فضله و رحمته و نعمه الّتي لا تُعدّ و لا تُحصى، و الصّلاة و السّلام على أفضل خلقه سيّدنا و نبيّنا محمّد صلّى لله عليه و سلّم.

ها نحن نقبل على خطّ آخرالسّطورلهذا البحث المتواضع بعد مشوار دراسي طويل ، تخلّله الكثير من الجهد و التّنقيب عن شخصيّة لسانيّة فذّة ، لطالما أسالت الكثير من الحبر و جُنّدت من أجلها علماء و باحثون ، أقدموا على دراسة عدد من المسائل المرتبطة بفكر الأب الرّوحي للّسانيّات ألا و هو فيرديناند دو سوسير. و هنا لبّد أن نستعمل عبارة استخدمها ميشال أريفيه في خاتمة النّصّ الأصلي ، كما جاء في **كتاب ميشال أرفيه ، البحث عن فرديناند دي سوسير ، تر، د. محمد خير محمود البقاعي** : " يمتلك أيّ باحث شعور ملتبس بالقلق و الحذر تجاه عدم توخيه الأمانة و الشّفافيّة في معالجة أفكار " معلّم جنيف ". وهذا لأنّها عبارة تؤكّد نفس الإحساس الّذي يخالجنا و نحن نُقدم على هذه المحاولة الّتي نعتبرها مجازفة حقيقية إن صحّ التّعبير ، خاصّة و أنّ موضوع البحث في حدّ ذاته يستدعي الإلمام بمعظم إن لم نقل كلّ الآراء والبحوث و المحاورات و النّقاشات و المؤلّفات الّتي دارت حول فكرٍ نُعت بأنّه متعدّد ، علّه يكون لنا عذرا نلتمسه لأنفسنا و نحن لا نملك من الكفاءة العلميّة خاصّة في هذا المجال إلاّ القليل كباحثتين في بداية مشوارنا العلميّ.

لقد تلقّى الدّارسون كتاب " محاضرات في اللّسانيّات العامّة " وارتكزت عليه جُلّ الأفكار و النّظريّات اللّسانيّة ، و كان له دور طلائعي في تحقيق القفزة النّوعيّة في مناهج العلوم الإنسانيّة ، و توالت من بعده الأعمال اللّسانيّة الّتي قدّمت الفكر اللّساني الغربي عامّة ، و ذلك وفق ما فهمه طلبته في دفاترهم الّتي دوّنوها ، و لهذا ظلّ الغموض يلفّ هويّته الفكريّة و استمرّ التأويل المتعدّد لمفاهيمه و تصوّراته.

فبعد اكتشاف مخطوطاته الأصلية في مشتل البرتقال سنة 1996م تقوّت العودة إلى سوسير من خلال إعادة قراءة نصوصه المتعددة . و هكذا تجدد البحث في لسانيّاته في السّاحة اللّسانيّة الغربيّة. و قد تمّ تحقيق أهمّ مخطوطاته مُمثّلة في كتاب (كتابات في اللّسانيّات العامّة) الّذي صدر عام 2002 م .

لقد انخرط الدّارسون العرب في السّوسيريّة الجديدة ذلك نتيجة الوعي بهذه النّظرية ، و يتجلّى من خلالها انخراط لسانيّي المغرب العربي في البحث اللّساني مما أحدث نقلة نوعية في الثّقافة العربيّة ، و ما عرفته من حراك لساني واسع متنوّع المضامين ، تعددت روافده و فاعلوه ، و ارتسمت من خلاله آفاق بحثية و منهجيّة جديدة ، بفضل الدّارسين متعددي الألسن و المنفتحين على التّيّارات الفكريّة الغربيّة.

وأردنا في دراسة بحثنا هذا الموسوم ب " إعادة اكتشاف سوسير من خلال كتاب الدّكتور زواوي مختار" دوسوسير من جديد – مدخل إلى اللّسانيّات". في ظلّ المخطوطات الجديدة الّتي فتحت عهدا جديدا ، و منحتنا تصوّرات جديدة للّسانيّات و أتاحت فيما أفضل للفكر السّوسيري ، و هي تفرض ضرورة العودة إلى سوسير الأصلي ، مرهونة بضرورة مواصلة قراءة نصوصه و تقديم تأويل جديد لتصوّراته ، و هذه المخطوطات فيها ما يلتقي مع كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة ، و فيها ما يتقاطع معه .نخلُص إلى النّتائج و الملاحظات الّتي من خلالها يمكننا الاجابة عن الإشكالية المطروحة :

- لطالما اعتقد الباحثون أنّ ما هو مهمّ يتلخّص فيما جاء في نصّ المحاضرات في اللّسانيّات العامّة.
- أحدث كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة الّذي ألّفه شارل بالي و البير سيشهاي بعد وفاة أستاذهما سنة 1916 م أثرا بليغا في أدبيات اللّسانيّات طيلة القرن الماضي ، فقد نشأت عنه النّظريّات و تأسّست من حوله المدارس .

- الإسراع إلى الطّبعات النّقديّة تمخّضت عنها الفيلولوجيات السّوسيريّة قصد تقويم العيوب نتيجة الهنات و السّقطات الّتي التمسوها في كتاب المحاضرات في اللّسانيّات العامّة و ذلك للظّفر بتصوّر دو سوسير الجديد.
- أحدثت كتابات دو سوسير المكتشفة سنة 1996م تحوّلا جذريا في فهم فكره اللّسانيّاتي ، بعد تحقيقها و نشرها من طرف سيمون بوكي و رودلف انغلر سنة 2002 م.
- يُثبت نصّ شارل بالي و البير سيشهاي أنّ سوسير يتصوّر اللّسانيّات تدرس اللّغة في ذاتها و لذاتها بعيدا عن أية مؤثّرات خارجيّة ، في حين أنّ مخطوطات سوسير تؤكّد اهتمامه بالبُعد الاجتماعي للّغة.
- أثبتت طبعة رودلف انغلر 1968م ، بأنّ العبارة الأخيرة الّتي مؤدّاها : أنّ الموضوع الفعلي للّسانيّات هو دراسة اللّسان بذاته و لذاته لا تعود لدو سوسير بل هي من صنيع شارل بالي و ألبير سيشهاي .
- إنّ أهمّ المناحي المسكوت عنها فيما أصبح يُعرَف بلسانيّات دو سوسير الجديدة ، أنّ عبارة " اللّسانيّات العامّة " أضحت دلالتها تمتدّ لتشمل ثلاث حقول معرفيّة ممّنهجة : حقل الابستيمولوجيّات ، حقل فلسفة اللّغة ، حقل الابستيمولوجيّات المبرّمجة.
- تُمثّل اللّغة و اللّسان و الكلام الحلقة البارزة في دراسة الظّواهر اللّغويّة للنّصوص و المخطوطات الجديدة . باعتبارها تعمل على تأطير المعرفة اللّسانيّة تأطيرا سليما.
- إنّ المصادر الأصول تكشف عن تدخّل النّاشرين و سعيهم إلى استبعاد كل ما يتعلّق بالنّشاط اللّغويّ عند الفرد المتكلِّم من دائرة اهتمام اللّسانيّات .
- اللّسان واقع إجتماعيّ . إنّ الفرد المُعدّ لأنّ يتكلّم، لن يتمكّن من استعمال جهازه إلاّ من خلال المجتمع المحيط به، هذا بالإضافة إلى كونه لا يشعر بأيّ حاجة لاستعماله إلاّ في علاقاته معه. إنّه مرتبط كامل الارتباط بهذا المجتمع .

- يُلحّ دو سوسير في إحدى المقطوعات المنشورة مؤخّرا . يقول " لايُبتكر اللّسان إلاّ لغاية التّخاطب".
- من بين المسائل الّتي لم تنج من الخلل مفهوم العلامة ، الّتي قدّمتها نشرة 1916 م على أنّها كِيان مستقل عن باقي العلامات المجاورة و تجريدها عن وجودها الخطّابي و التّبليغي.
- العلامة اللّغويّة تتأسّس على ما يقوم به الذّهن من اقتران بين شيئين مختلفين: صّورة سّمعيّة مرتبطة بتصوّر لكنّهما معا نفسيان، يقعان في ذهن الفرد.
- تخضع العلامة لمبدأين أساسيّين يُعدّان بمثابة حقيقتين أساسيتّين هما الاعتباطية و خطيّة الدّال.
- مسألة اعتباطية العلامة اللّسانيّة الّذي أقرّه دو سوسير في محاضراته الفعليّة أثارت الجدل العلميّ بين الباحثين ، كما أخفق كلّ من شارل بالي وألبير سيشهاي ، بإضافة مكونا ثالثا هو الواقع الّذي تُحيل إليه ،
- ما حقّقه سيمون بوكي من نصوص فيما يخصّ مسألة الاعتباطية ؛خلص إلى أنّ سبب إخفاق شارل بالي و البير سيشهاي يعود إلى عدم تنبّئهم إلى البعد الدّلالي لمفهوم العلامة ، فهو يدلّ تارة على الوحدة القائمة بين المفهوم و الصّورة السّمعيّة و تارة أخرى يُراد بها الصّورة السّمعيّة غير مقترنة بالمفهوم الّذي تُعبّر عنه.
- تكشف المخطوطات الجديدة عن تصوّر سيميولوجي في شكل معادلة على النّحو التّالي: السّيميولوجيا = المورفولوجيّات ، النّحو ، التّركيبات ، التّرادف ، البلاغة ، الأسلوبيات ، المعجميات ، الخ ، الكلّ مُتّصل . ففكر دو سوسير السّيميائيّاتي هو تصوّر لساني بالدّرجة الأولى يُؤسّس لوحدة لا انفصام لها في إطار السّيميولوجيا اللّسانيّة ، بين فروع اللّسانيّات المعهودة.

قائمة المصادر
و المراجع

1- زواوي مختار ، دو سوسير من جديد، مدخل إلى اللّسانيّات ، ابن النّديم للنّشر و التّوزيع ، دار الرّوافد الثّقافيّة – ناشرون ، بيروت-لبنان ، ط،2017 م.
2- فرديناند دي سوسير ، تعريب صالح القرمادي محمد الشاوش – محمد عجينة، دروس في الألسنيّة العامّة ، الدّار العربيّة للكتاب ، ط1 ،1985م .
3- مصطفى غلفان، اللّغة و اللّسان و العلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول ، دار الكتاب الجديد المتّحدة ، طرابلس –ليبيا،ط1، جانفي 2017 م.
4- فيرديناند دو سوسير ، في جوهري اللغة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن النّديم للنّشر و التّوزيع ، دار الرّوافد الثّقافيّة – ناشرون ، ط1 2019 م .
5- فيرديناند دو سوسير ، نصوصٌ في اللِّسانيّات العامّة ،تح :سيمون بوكي و رودلف انغلر ، تر: مختار زواوي ، ابن النّديم للنّشر و التّوزيع ، دار الرّوافد الثّقافيّة – ناشرون ، ط1 2021 م .
6- جورج مونان ، ترجمة د.جمال الحضري ، معجم اللّسانيّات ، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات و النّشر و التّوزيع ، ط1 1433ه-2012 م .
7- ميشال أرفيه (Michel Arrivé) ، البحث عن فرديناند دو سوسير ، تر:محمد خير محمود البقاعي ، مراجعة : نادر سرّاج .الطبعة الأولى، 2009 م.
8- لويك دوبيكير ، فهم فرديناند دو سوسير وفقا لمخطوطاته ،مفاهيم فكريّة في تطوّر اللّسانيّات ، تر، د. ريما بركة، مرك دراسات الوحدة العربيّة ط1 ، 2009 م .
9- زواوي مختار ، من المورفولوجيّات إلى السّيميائيّات مدخل إلى فهم فكر فرديناند دو سوسير ، الأردن عالم الكتب الحديث للنّشر و التّوزيع ، 2019 م.
10- حسني خاليد ، مدخل إلى اللّسانيّات المعاصرة ، مطبعة آنفو – برانت ، سبتمبر 2018 م.

11-زواوي مختار ، مسائل في تلقّي النّظريّة السّوسيريّة ، دار ومضة للنّشر و التّوزيع و ، ط1 2021 م .

المجلاّت و الدّوريّات

12- صلاح الدّين يحي ، مخطوطات فرديناند دو سوسير و أثرها في تأسيس اللّسانيّات السُّوسيريّة الجديدة، جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر،2019 م.

13- فهيم شيباني عبد القادر ، أسرار التّأليف هكذا سمعنا المعلِّم في كتاب " محاضرات في اللّسانيات العامّة ، مجلّة أيقونات ، العدد 06 المجلّد السّادس- الجزائر 2018 م .

14- محروس السيد بريك ، التّلقّي العربيّ لسوسير في ضوء مخطوطاته المكتشفة ، مجلّة اللّسانيّ ، العدد 01 المجلّد 1-جامعة قطر،وكلية العلوم ، جامعة القاهرة 2021 م .

15- مجلة الآداب و العلوم الانسانيّة المجلّد 17 / العدد :1 2023 م .

16- مروق محمد ، من كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة إلى السّوسيريّة الرّاهنة، مجلّة الآداب و العلوم الإنسانيّة ، المجلد 17/العدد: 2023 م.

الملخّص:

تهدف هذه الدّراسة إلى إبراز الفكر الحقيقيّ لفرديناند دوسوسر ؛ و ذلك بعد العثور على مخطوطات جديدة اكتُشفت في مشتل البرتقال الخاصّ بآل سوسير عام **1996م** . ونُشرت عام **2002م** بعد تحقيقها من طرف " **سيمون بوكي** " و " **رودلف انغلر** " تحت عنوان " **كتابات في اللّسانيّات العامّة** " . خاصّة أنّه وردت بهذه المخطوطات الجديدة أفكار تُعارض بعض ما ورد في **« كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة»** الّذي نشره "**شارل بالي** "و" **ألبير سيشهاي**" عام **1916م** . من خلال اعتمادنا كتاب للدّكتور زواوي مختار الموسوم ب **« دو سوسير من جديد – مدخل إلى اللّسانيّات – »** .

الكلمات المفتاحية : فيرديناند دو سوسير ، كتاب محاضرات في اللّسانيّات العامّة ،المخطوطات الجديدة ، الموقف الابستيمولوجيّ لسوسير ، مفاهيم و مصطلحات سوسير.

Summary :

This Study Aims To Highlight The True Thought Of **"Ferdinand De Saussure"**, After The Discovery Of New Manuscripts Acquired In Saussure Orange Orchard In **1996** , these Manuscripts were Investigated And Published In **2002** By " **Simon Bouquet''** And "**Rudolf Engler''** Under The Title **« Writings In Public Linguistics»**

In Particular ,These Manuscripts Contained Ideas That Conflicted With Som Of The Book **« Lectures In Public Linguistics »** Published By **''** **Charl Bally** " And "**Alber Sechehy** ", In **1916** .

Our Wor Is Based On The Book Of Dr **. Zwaoui Mokhtar , « De Saussure Again – Introduction To Linguistics»** .

Keywords: Ferdinand De Saussure, Book Lectures In Public Linguistics, New Manuscripts, Saussue’s Epistemological Position, Concepts and Terminology.